
الحلقة الجهنمية
Looloo
www.dvd4arab.com

رجل المستحيل

(أدهم صبرى) .. ضابط مخابرات مصرى فى الخامسة والثلاثين من عمره ، يرمز إليه بالرمز (ن ـ ١) .. حرف (النون) ، يعنى أنه فئة نادرة ، أما الرقم (واحد) فيعنى أنه الأول من نوعه ؛ هذا لأن (أدهم صبرى) رجل من نوع خاص .. فهو يجيد استخدام جميع أنواع الأسلحة ، من المسدس إلى قاذفة القنابل .. وكل فنون القتال ، من المصارعة وحتى التايكوندو .. هذا بالإضافة إلى إجادته التامة لستّ لغات حيّة ، وبراعته الفائقة فى استخدام أدوات التنكّر و (المكياج) ، وقيادة السيارات والطائرات ، وحتى الغواصات ، إلى جانب مهارات أخرى متعدّدة .

لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد فى سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات .. ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل ، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات العامة لقب (رجل المستحيل) .

د. نبيل فاروق

١ ـ التاريخ ..

مالت الشمس إلى المغيب ، فى ذلك اليوم من أيام الشتاء ، وبدا مبنى المخابرات العامة المصرية ، كعملاق شامخ ، يرتفع فى (كوبرى القبة) ، ويلقى ظلاله الطويلة على المنطقة الشرقية له ، وقد غرق فى صمت وسكون عجيبين ، يضفيان عليه المزيد من الرهبة والغموض ، ولا يشفّان أبدًا عن كل ذلك القدر من النشاط والحركة داخله ..

وهناك .. فى أحد طوابق المبنى ، كان هناك رجل يتحرّك فى حذر ، متجهًا إلى حجرة مغلقة ، فى نهاية ممر طويل ، وعندما بلغها تلفّت حوله لحظة ، ثم فتح بابها ، وتسلل إليها فى سرعة ، وأغلق بابها خلفه ، ثم لهث على نحو عجيب ، يشفّ عن توتره وانفعاله ، وهو يتمتم :

ـ حسنٌ .. كل شىء سار على ما يرام حتى الآن .

وزفر فى توتر ، ثم اتجه مباشرة نحو أحد الدواليب المغلقة العديدة ، التى تملأ المكان ،وجذب أحد الأدراج ، على نحو يوحى بأنه يعلم جيدًا ما يحتويه ، وراجع الملفات التى تملؤه فى شغف ، قبل أن يلتقط أحدها ، وهو يقول لنفسه فى لهفة :

ـ ها هو ذا .

وفجأة سطعت الأضواء فى الحجرة ، وارتفع معها صوت صارم ، يقول :

- ماذا تفعل هنا ؟

انتفض الرجل فى عنف ، وارتجّ جسده الضخم البدين فى قوة ، وأفلت الملف من يده ، فسقط أرضًا ، وتبعثرت منه بعض الصور والأوراق ، وهو يهتف بالقادم فى حدّة :

- لقد أفزعتنى .

تطلّع إليه القادم فى دهشة ، قبل أن يقول فى حيرة :

- (قدرى) ؟!.. ماذا تفعل هنا ؟

التقى حاجبا (قدرى) ، وهو ينحنى ليلتقط الملف الذى سقط من يده ، ويعيد إليه الأوراق والصور التى تبعثرت ، وهو يتمتم :

- كنت أحضر ملفًا جديدًا .

ألقى القادم بسرعة نظرة على الدرج المفتوح ، الذى أخذ منه (قدرى) الملف ، ثم لم يلبث أن انفجر ضاحكًا فجأة ، وهو يقول :

- ولماذا تسلّل هكذا كاللصوص ؟!.. لو أنك طلبته لأحضرناه إلى مكتبك بأنفسنا .. أنت تعلم مثلنا أن كل الملفات ، فى هذه الحجرة ، قديمة للغاية ، ولم تعد بها أية أسرار ذات قيمة .. إنها أشبه بحجرة أرشيف حكومية يا رجل .

همهم (قدرى) فى سخط ، وهو يضع الملف تحت إبطه فى حرص :

- إنكم تسخرون منى ، كلما طلبت أحد هذه الملفات .

تحرّك الرجل بضع خطوات إلى الأمام ، وقرأ البطاقة المدوّنة على الدرج المفتوح ، قبل أن يغلقه بحركة هادئة ، وهو يبتسم قائلًا :

- لسنا نسخر منك يا رجل .. إننا نمازحك فحسب ، فالشىء

الوحيد الذى يفوق شهيتك للطعام ، هو نهمك الشديد لقراءة كل الملفات القديمة لـ (أدهم صبرى) ، وهذا ما يدهشنا فى الواقع .

هتف (قدرى) :

- يدهشكم ؟!.. ألا تبهركم تلك العمليات ، التى قام بها (أدهم) فى شبابه الأوّل ؟!.. إننى ألتهب وأنا أطالع تلك الملفات القديمة .. لقد كان موهوبًا منذ صباه .

ابتسم الرجل ، وقال :

- أنت تعلم أن الوسيلة التى نشأ بها (أدهم) ، تختلف عن كل من عداه ، بحيث صار متميّزًا للغاية فى مجاله(*) .

تمتم (قدرى) ، وهو يتجه فى خطوات سريعة إلى الخارج :

- هذا صحيح .

ضحك الرجل ، وقال :

- إلى أين ؟

أجابه (قدرى) ، وجسده البدين كله يهتز ، مع اندفاعه نحو مكتبه :

- لدى عمل هام .

ودلف إلى مكتبه بحركة سريعة ، وأغلق بابه خلفه فى إحكام ، ثم جلس على مقعده الوثير ، والتقط لفافة كبيرة من فوق المنضدة المجاورة ، وفتحها ليأخذ واحدة من الشطائر العديدة بها ، ويلتهمها

(*) راجع قصة (ملائكة الجحيم) .. المغامرة رقم (٦١) ، فى سلسلة (رجل المستحيل) .

فى شراهة ، وهو يفتح الملف القديم ، ويطالع بعض الصور داخله ، ثم غمغم :

ـ والآن نبدأ المتعة ..

وراح يأكل ، ويقرأ ملف عملية (أدهم صبرى) القديمة .. وبنفس النهم ..

* * *

« أدخل أيها النقيب » .

تقدّم (أدهم) فى خطوات حاسمة إلى مكتب مدير المخابرات ، الذى تأمّله فى هدوء ، قبل أن يتابع :

ـ إنك حديث العهد بالعمل معنا أيها النقيب (أدهم) ، ولكنك أثبت كفاءة نادرة ، فى عمليتين سابقتين(*) ، مما شجعنى على إسناد هذه المهمة الجديدة لك .

قال (أدهم) فى حسم واهتمام :

ـ فى خدمة الوطن ياسيّدى .

هزّ مدير المخابرات رأسه فى تأييد ، ثم دفع صورة فوتوجرافية على سطح مكتبه ، نحو (أدهم) ، وهو يقول :

ـ هل تعرف صاحب هذه الصورة ؟!

التقط (أدهم) الصورة ، وتأمّل صاحبها طويلًا ، قبل أن يقول :

ـ من المؤكّد أننى لم ألتق به ، أو أطالع صورته من قبل ، ولكن ملامحه القاسية ، وأنفه المعقوف ، ورأسه الأصلع ، وتلك النظرة

(*) راجع سلسلة (رجل المستحيل) .. القصتين (خيط اللهب) ، و (القوة ـ أ) .. المغامرتين رقم (٣٢) ، و (٣٣)

العدائية فى عينيه ، كلها تشير إلى أنه يهودى ذو شأن .. ضابط من (الموساد) على الأرجح .

ابتسم المدير ، وقال :

ـ فراسة تثير الإعجاب أيها النقيب .

ثم استعاد الصورة ، وهو يستطرد :

ـ هذا (إليعازر فيرمان) .. واحد من أكثر ضباط (الموساد) خبرة وشراسة ، والمسئول عن عمليات تجنيد الجواسيس ، فى (أوروبا) كلها .. وبالذات تجنيد ضعاف النفوس من الشباب العربى .

لم ينبس (أدهم) ببنت شفة ، وإن أطلت من عينيه نظرة غاضبة ، التقطها المدير فى وضوح ، ولكنه تابع وكأنه لم ينتبه إليها :

ـ ومن الطبيعى أننا نراقب (إليعازر) منذ فترة طويلة ، وهو يعلم هذا ، ويراوغنا بحنكة وخبرة ، وينجح أحيانًا فى بعض عملياته ، على الرغم من كل هذا .

قال (أدهم) فى هدوء ، لايخلو من الصرامة :

ـ مراقبة نمو النباتات الضارة لاتكفى لمنع أخطارها .. لابد من اجتثاثها من جذورها .

ابتسم المدير ، وقال :

ـ ليس هذا المبدأ صالحًا فى كل الأحوال ، فكثيرًا ما نسمح لهذه النباتات بالنمو ، حتى نفيد من وجودها على نحو ما .. وهذا ما كنا نفعله مع (إليعازر) ، فبعض من تصوّر نجاحه فى تجنيدهم ، كانوا فى الواقع عملاء لنا ، نفيد منهم بأكثر مما يفعل هو ألف مرة .

سأله (أدهم) فى حذر :

ـ ما المشكلة إذن ؟

اعتدل المدير ، وقال :

ـ المشكلة أن (إليعازر) قد اختفى تمامًا ، منذ شهر كامل ، ولدينا معلومات تؤكد أنه مستعد للقيام بعملية كبرى ، تهدد أمننا القومى بخطر بالغ ، ولكن ليست لدينا أية تفاصيل إضافية عن هذا ، ولا عن مكان (إليعازر) .

ورفع عينيه بغتة إلى (أدهم) ، مستطردًا :

ـ وهذه هى مهمتك .

اعتدل (أدهم) ، فى وقفة عسكرية صارمة ، وهو يقول :

ـ أهناك خطة محددة لهذا يا سيدى ؟

هز المدير رأسه نفيًا ، وقال :

ـ كلا .. وهذا هو السبب الأهم لاختيارك أيها النقيب ، ففى العمليات التى تعاونت فيها معنا ، قبل التحاقك الرسمى بالمخابرات(*) ، أو التى عملت فيها معنا رسميًا ، أثبتت الأحداث أنك تمتلك موهبة فريدة ، فى التعامل طبقًا لمقتضيات الأمور ، وفى تعديل الخطط ووضعها ، تبعًا لما تفرضه الملابسات والأحداث ، وهذا ما نطلبه منك بالضبط .. ستطالع ملف (إليعازر) كله ، وتحفظه عن ظهر قلب ، ثم تسافر إلى (روما) مساء الغد .. وهناك ستبحث عن

(*) راجع قصة (الخطوة الأولى) ، فى سلسلة (رجل المستحيل) .. المغامرة رقم (٣١) .

(إليعازر) ، وعن عمليته الكبرى ، ثم تنقض عليه وعلى خطته انقضاضة الصاعقة ، وتحطم كل شىء .

ثم مال نحوه ، مستطردًا فى حزم :

ـ هل يمكنك هذا ؟

ارتسمت على شفتى (أدهم) ابتسامة واثقة هادئة ، وهو يقول فى حسم :

ـ بإذن الله يا سيدى .

وهكذا بدأت المهمة ..

* * *





٢ - إلى (روما) ..

غادر (أدهم) مطار (روما) فى خطوات هادئة ، وهو يحمل حقيبة متوسطة الحجم ، ويخفى عينيه بمنظار داكن ، وتوقف أمام المطار يتطلع إلى سيارات الأجرة فى صمت ، حتى توقفت عيناه عند واحدة من تلك السيارات ، جلس سائقها داخلها ، يطالع صحيفة إنجليزية قديمة باهتمام بالغ ، متجاهلاً المارة والزبائن ، وكأن الصحيفة قد استغرقته تمامًا ، فاتجه إليه (أدهم) فى هدوء ، وانحنى يقول بالفرنسية :

- أريد الذهاب إلى برج (إيفل) المائل .

طوى السائق الصحيفة ، وهو يتطلع إليه فى إمعان ، قبل أن يقول بالإيطالية :

- برج (إيفل) لايميل أبدًا .. نحن لدينا البرج المائل الوحيد (بيزا) .

وفى بساطة ، وبعد تبادل عبارة السر المتفق عليها ، فتح (أدهم) باب السيارة ، وجلس على المقعد الخلفى ، وانطلق السائق بالسيارة على الفور ، وهو يقول بالعربية :

- مرحبًا بك فى (روما) يا سيادة النقيب .

سأله (أدهم) :

- هل من أخبار جديدة عن (إليعازر) ؟

هزّ الرجل رأسه نفيًا ، وقال :

- لقد اختفى تمامًا ، كما لو أن الأرض قد انشقت وابتلعته ، ولكن مساعده (جولهى) يقيم بصفة دائمة فى فندق (زيوس) ، وهو واحد من فنادق الدرجة الثالثة ، الذى يتوافد عليه المصريون الباحثون عن العمل عادة ، وكأنه يواصل عملية التجنيد السخيفة ، التى تخصص فيها رئيسه .

قال (أدهم) فى هدوء :

- فليكن .. ربما كان هو طرف الخيط ، الذى يقودنا إلى (إليعازر) .

سأله الرجل :

- كيف ؟

هزّ كتفيه فى لامبالاة ، وقال :

- لست أدرى بعد .

ابتسم الرجل ابتسامة خفيفة ، وهو يلقى نظرة عليه ، فى مرآة السيارة ..

كان واثقًا من أن (أدهم) يعلم جيدًا ما سيفعله ، ولكنه يرفض الإفصاح عنه ..

هكذا تقتضى السرّية ..

وقوانين المخابرات تحتم ألا يسأله مرة أخرى عن خطته ..

وطوال المسافة المتبقية ، ساد بينهما صمت تام ، حتى بلغا فندق (زيوس) ، فتوقف الرجل أمامه ، وقال بالإيطالية فى غلظة :

- ها هو ذا الفندق يا فتى .

هبط (أدهم) من السيارة أمام الفندق ، وقضى وقتًا طويلاً يساوم السائق ، الذى أطلق سبابًا أو سبابين ، بنفس أسلوب الإيطاليين ،

قبل أن ينطلق بالسيارة ، على نحو يوحى بالغضب والحنق ، فاعتدل (أدهم) ، واتجه مباشرة إلى الفندق ، الذى بدا نظيفًا أنيقًا ، على الرغم من مستواه المتواضع ، وسأل موظف الاستقبال بلغة إنجليزية ركيكة :

ـ أأجد لديكم حجرة خالية ؟

سأله الموظف فى برود :

ـ أهناك حجز مسبق ؟

تظاهر (أدهم) بالارتباك ، وهو يقول :

ـ كلا .. ولكن ..

قاطعه الموظف فى صرامة :

ـ فى هذه الحالة لا يمكننى أن ..

وهنا جاء صوت آخر ، يقول بسرعة :

ـ لا داعى للتعنت يا (فرانكو) .. ستجد حتمًا حجرة خالية للقادم الجديد .

التفت إليه (أدهم) ، وعرف فيه (جولهى) على الفور ، ولكنه قال بلغة إنجليزية توحى بأن صاحبها لم يتلق دراسة لغوية كافية :

ـ شكرًا يا سيدى .. لست أدرى كيف ..

قاطعه (جولهى) ، وهو يربت على كتفه قائلاً :

ـ لا عليك يا صديقى .. لا عليك .

نطقها بالعربية ، وبلهجة مصرية خالصة ، فهتف (أدهم) متظاهرًا بالدهشة :

ـ يا إلهى !.. أأنت مصرى ؟!

ابتسم (جولهى) ، وقال :

ـ كلا .. ولكننى قضيت قسمًا كبيرًا من حياتى فى (مصر) .

ثم التفت إلى موظف الاستقبال ، وقال :

ـ هل عثرت على حجرة خالية ؟

أجابه الرجل فى اقتضاب :

ـ نعم .

ثم التفت إلى (أدهم) ، مستطردًا :

ـ إعطنى جواز سفرك .

ناوله (أدهم) جواز السفر ، وهو يقول :

ـ اسمى (أدهم) .. (أدهم صبرى)(*) .

وترك موظف الاستقبال يدون بيانات جواز السفر ، فى حين سأله (جولهى) :

ـ وما عملك يا سنيور (أدهم) ؟

هزَّ (أدهم) كتفيه ، وقال :

ـ كنت مهندسًا للديكور فى (مصر) ، ولكننى لم أحصل أبدًا على فرصة جيدة ، فهناك يمتهنون أصحاب المواهب ، ولا يعطوهم حقهم ، و ...

راح يعلن سخطه وحنقه طويلاً ، و (جولهى) يستمع إليه مبتسمًا ، ثم قال :

(*) حدثت هذه القصة ، قبل أن يصبح اسم (أدهم صبرى) شهيرًا فى عالم المخابرات .

ـ لا عليك يا سنيور (أدهم) .. هكذا المصريون دائمًا .. كل أعمالهم بيروقراطية سخيفة .. ولكن هل أتيت هنا بحثًا عن عمل ؟

قال (أدهم) فى حماس :

ـ بل بحثًا عن وسيلة للحصول على الجنسية الإيطالية .. أية وسيلة ؟

ابتسم (جولهى) أكثر ، وهو يقول :

ـ ربما وجدت ما هو أفضل يا (أدهم) .

سأله (أدهم) فى لهجة مدروسة :

ـ ماذا تعنى ؟

بدت ابتسامة (جولهى) خبيثة ، وهو يقول :

ـ سأخبرك فيما بعد يا فتى .. عندما تحين اللحظة المناسبة .

توقَّف الحديث بينهما عند هذه النقطة ، وصعد (أدهم) لرؤية وتسلُّم حجرته ، فى حين اتجه (جولهى) إلى الهاتف ، وطلب رقمًا خاصًا ، ولم يكد يستمع إلى محدثه ، حتى قال فى اقتضاب :

ـ وقعت على صيد جديد مناسب .. الخامسة مساءً .. نفس المكان .

وأنهى الاتصال على الفور ، وارتسمت على شفتيه ابتسامة أكثر خبثًا ..

وأكثر غموضًا ..

* * *

اعتدل (إليعازر) فى مقعده ، والتقى حاجباه الكثيفان فى اهتمام بالغ ، وهو يتطلَّع فى صمت إلى الرجل الواقف أمامه قبل أن يسأله فى برود :



بدت ابتسامة (جولهى) خبيثة ، وهو يقول :

ـ سأخبرك فيما بعد يا فتى .. عندما تحين اللحظة المناسبة ..

ـ أأنت واثق من أحدًا لم يتبعك إلى هنا ؟

أجابه الرجل فى ثقة :

ـ مستحيل يا سيدى !.. لقد اتصل (جولهى) بـ (ماركو) ، وعلى الفور نقل (ماركو) الرسالة لاسلكيًا إلى (جروهى) ، ثم أرسل (جروهى) صبيًا ينقل الرسالة إلى (دافيد) فى المطعم ، ومن هناك اتصل بى (دافيد) ، ونقل إلىّ الرسالة بالشفرة الخاصة ، التى تتغيّر كل يوم ، وهرعت أنا إلى متجر (مانو) ، وخرجت متنكّرًا من بابه الخلفى ، وأتيت إلى هنا .. من يمكنه تعقب شبكة شديدة التعقيد كهذه ؟!

قال (إليعازر) فى برود :

ـ من يدرى يا (بين) ؟.. من يدرى ؟

ثم أشعل سيجارته ، وهو يسأله :

ـ وما معلومات (جولهى) ، عن هذا الصيد الجديد ؟

أجابه (بين) :

ـ إنه لم يُفصح عن هذا يا سيدى ، ولكن من المؤكد أن لديه من الأسباب ما دفعه إلى بدء العمل على تجنيده .

التقى حاجبا (إليعازر) ، وهو يفكر فى عمق ، ثم قال فى حزم :

ـ فليكن .. اتصل به بالوسيلة نفسها ، واطلب منه ألا يتعجّل .. فليراقب ذلك الصيد عدة أيام ، ثم يبلغنى بكل ما لديه من معلومات عنه ، وبعدها أقرر ما نفعله بشأنه .

ثم سأل فجأة :

ـ وماذا عن عملية السفارة المصرية ؟

ابتسم (بين) ، وقال :

ـ كل شيء يسير على ما يرام ، وستتأكدون من نتائج الجراحة غدًا .

التقط (إليعازر) نفسًا عميقًا من سيجارته ، ونفثه فى عمق ، قبل أن يقول فى توتر :

ـ فليكن .. غدًا نطمئن إلى نجاح الخطوة الأولى من العملية الكبرى .

واعتدل مستطردًا فى حزم :

ـ وننتقل إلى الخطوة الثانية .. بنجاح ..

وعاد يلتقط نفسًا عميقًا من سيجارته ، و (بين) يسأله :

ـ وماذا عن عملية (جولهى) ؟.. ماذا يفعل ، لو شك فى أمر الصيد الجديد ؟

نفث (إليعازر) دخان سيجارته فى عمق وقوة ، قبل أن يقول فى صرامة :

ـ كالمعتاد .. عليه أن يقتله بلا تردد .

وامتلأ صدره بدخان سيجارته مرة ثالثة ..

* * *

التقط (أدهم) مسدسه ، من جراب سرى بحقيبته ، وقلّبه بين أصابعه فى عناية ، ثم فحصه ليتأكد من صلاحيته للعمل ، فى نفس اللحظة التى ارتفع فيها صوت دقات هادئة على باب الحجرة ، فأسرع يعيد مسدسه إلى جرابه السرى ، وهو يقول :

ـ من بالباب ؟

أتاه صوت يقول بالإيطالية :

ـ خدمة الحجرات .. لقد طلبت شايًا مثلجًا بالليمون .

لم يكن قد طلب هذا الشاى المثلّج ، ولكنه فتح باب الحجرة ، وقال للشاب الطويل ، الذى يحمل صينيّة الشاى :

ـ هل أضفت إليه بعض أقراص الإسبرين ؟

أجابه الشاب مبتسمًا :

ـ لم أجد سوى أوراق النعناع .

كان الحديث يبدو عجيبًا غير متصل أو متناسق ، ولكنه كان العبارات الشفرية الخاصة المتفق عليها ؛ لذا فقد أفسح (أدهم) الطريق للشاب ، الذى أغلق الباب خلفه ، وهمس بالعربية :

ـ هل يمكننا التحدث هنا بحرية ؟

أجابه (أدهم) فى ثقة :

ـ نعم .. لقد فحصت المكان شبرًا شبرًا ، ولا توجد به أجهزة تصنت .

ثم سأله فى اهتمام :

ـ ماذا فعلتم بشأن (إليعازر) ؟

أجابه الشاب فى ضيق :

ـ لاشىء للأسف .. لقد راقبنا هاتف الفندق ، وعرفنا الرقم الذى يتصل به (جولهى) ، ولكن هذا لم يقد إلى شىء ، فصاحب الرقم يُدعى (ماركو) ، وهو إيطالى ، ولم يغادر منزله ، أو يُجرى أية اتصالات ، طوال اليوم الذى تلا هذه المحادثة الهاتفية .

وتنهّد فى أسى ، مستطردًا :

ـ من الواضح أن (إليعازر) هذا ثعلب ماكر ، من المستحيل الوصول إليه .

قال (أدهم) فى صرامة :

ـ لا يوجد مستحيل :

ثم استغرق بضع لحظات فى تفكير عميق ، قبل أن يستطرد :

ـ ربما أننا لا نتبع الوسيلة المناسبة ، للتعامل مع هؤلاء الأوغاد .

قال الشاب فى دهشة :

ـ كيف ؟!.. كل شىء يسير كما تعلمنا تمامًا .

رفع (أدهم) سبّابته أمام وجهه ، وقال :

ـ ربما كانت هذه هى المشكلة .

قال الشاب ، وقد تضاعفت حيرته :

ـ ماذا تعنى بالضبط يا سيادة النقيب ؟

أجابه (أدهم) على الفور :

ـ أعنى أن الجميع ، حتى (إليعازر) ، يعلمون كيف تسير الأمور فى عالمنا ، فعلى الرغم من سرّيته ، ما زال يعمل وفق نظم خاصة ، يندر أن تتبدل أو تتحوّر .

سأله الشاب فى قلق حذر :

ـ ما الذى تنوى فعله بالضبط يا سيادة النقيب ؟

أجابه (أدهم) فى سرعة :

ـ أنوى أن أمنح (جولهى) يومًا إضافيًا واحدًا ، للمضى فى خطتنا ، وإلا ..

صمت لحظة ، قبل أن يستطرد فى حزم صارم مخيف :

ـ وإلا فلن يروقه أبدًا ما سيحدث بعد هذا .

وارتجفت الدماء فى عروق الشاب .

* * *

٣ ـ القتلة ..

وقف (إليعازر) خلف مرآة ذات وجهين، تسمح بمرور الضوء من أحد جانبيها، وتعكسه من الجانب الآخر، وهو يراقب فى صمت واهتمام فريقًا من الأطباء، أحاط برجل يجلس على مقعد وثير، وقد غطت الضمادات الطبيَّة وجهه كله، فيما عدا فتحتى الأنف والفم والعينين، وقد انهمك الأطباء فى فحص الضمادات، ونزعها عن وجهه فى دقة وبطء بالغين، واستغرق (إليعازر) بكيانه كله فى متابعة هذا العمل، حتى سمع صوتًا يأتى من خلفه، قائلًا :

ـ وصل التقرير يا سيِّدى .

انتفض (إليعازر) فى حدَّة، ثم التفت إلى صاحب الصوت، هاتفًا فى غضب :

ـ لِمَ لَمْ تطرق الباب قبل دخولك يا (بين) ؟

تنحنح معاونه الأوَّل (بين)، وهو يقول مرتبكًا :

ـ معذرة يا سيِّدى، ولكن (جولهى) أرسل تقريرًا عاجلًا، بشأن الصيد الجديد، ورأيت أنه من الأفضل أن تطالعه على الفور .

ألقى (إليعازر) نظرة سريعة على الرجل، الذى نزع الأطباء نصف الضمادات السفلى عن وجهه تقريبًا، وهو ينتزع التقرير من يد (بين) فى حدة، قائلًا :

ـ أعطنى إيَّاه .

قرأ سطور التقرير فى سرعة، وتألَّقت عيناه فى شدة، وهو يتمتم :

ـ مدهش .

ثم رفع عينيه إلى (بين)، وسأله فى اهتمام شديد :

ـ هل تأكَّد (جولهى) من هذا ؟

أومأ (بين) برأسه إيجابًا، وقال :

ـ الأمر لايقبل الشك .

هزَّ (إليعازر) رأسه عدة مرات فى صمت، وهو يطالع التقرير مرة ثانية، ثم أعاده إلى (بين)، قائلًا :

ـ مره بالتعامل مع الصيد كالمعتاد إذن .

ارتسمت على شفتى (بين) ابتسامة صياد، يستعد للإيقاع بصيد ثمين، وهو يقول فى اقتضاب :

ـ كما تأمر يا سيِّدى .

وغادر المكان فى خطوات سريعة، فى حين عاد (إليعازر) يتابع عملية نزع الضمادات عن وجه الرجل، حتى رفعها الأطباء تمامًا، وبدت ملامح الرجل واضحة، فنقل (إليعازر) بصره بينها، وبين صورة فوتوجرافية كبيرة، مثبتة على الحائط الأيمن، قبل أن يتمتم فى ارتياح :

ـ مدهش .

وفى أعماقه شعر أن خطته تمضى فى طريقها ..

وعلى خير مايرام ..

* * *

تعلق بصر (جولهى) بقامة (أدهم) الممشوقة، وملامحه الوسيمة، وهذا الأخير يغادر مصعد الفندق إلى بهوه المتواضع، ورسم (جولهى) على شفتيه ابتسامة واسعة، وهو يقول فى مودة مدروسة :

- مساء الخير يا صديقى العزيز .. ما رأيك بقضاء سهرة ممتعة معى، فى قلب (روما) ؟

تظاهر (أدهم) بالغضب والتبرّم، وهو يقول :

- ومن أين لى بثمن سهرة كهذه ؟.. إننى هنا منذ ثلاثة أيام، ولم أعثر على عمل بعد، وإيجار الفندق يستنزف مدخراتى أوّلاً فأوّلاً، وأخشى أن تجبرنى الظروف على العودة إلى (مصر) مفلسًا خاسرًا فاشلاً .

مال (جولهى) نحوه، وقال :

- وماذا لو قلت : إننى عثرت على عمل مناسب لك ؟

هتف (أدهم) فى لهفة مدروسة :

- حقًا ؟!.. يا لسعادتى !.. أتعنى بالفعل ما تقول يا صديقى ؟

همس (جولهى) :

- اخفض صوتك يا رجل .. ليس من السهل أن تعثر على عمل هنا، فى هذا الوقت من العام، وصيحتك ستثير حسد وغيرة الآخرين .

خفض (أدهم) صوته، وتظاهر بالانفعال، وهو يسأله :

- وأين هذا العمل يا صديقى ؟

أجابه (جولهى) بسرعة :

- لن نناقش هذا الأمر هنا يا صديقى .. سنلتقى اليوم بصاحب العمل، فى أحد مخازن شركته .. فى منتصف الليل تمامًا .. سأعطيك العنوان .

أخرج من جيبه بطاقة، ودسّها فى جيب (أدهم)، ثم انصرف فى خطوات سريعة، واختفى فى أحد ممرات الفندق، وتابعه (أدهم) ببصره حتى اختفى، ثم تمتم لنفسه فى سخرية :

- يبدو أن اللعبة ستتخذ مسارًا جديدًا هذه الليلة .

واتسعت ابتسامته، وهو يستطرد :

- وممتعة ..

* * *

أشعل (إليعازر) سيجارته فى بطء، وهو يتطلّع إلى الرجل الواقف أمامه، ثم نفث الدخان لفترة طويلة، قبل أن يقول له :

- أنت الآن نسخة طبق الأصل منه، ولقد تلقيت تدريبات مكثفة من قبل، على التحدّث بصوته، والتعامل بأسلوبه، والتحرّك بطريقته .. بقى الآن أن نراجع الخطة الأساسية معًا .

ابتسم الرجل، وقال :

- إننى أحفظها عن ظهر قلب يا سيّدى .

قال (إليعازر) فى عصبية :

- فليكن .. سنراجعها مرة أخرى ... المفروض أن تحلّ محلّه، و ...

قاطعه رنين طويل لهاتفه، جعله يختطف سمّاعته بحركة حادة، ويقول :

ـ من المتحدث ؟

ثم صاح فى عصبية :

ـ لماذا تتحدث إلىّ هنا يا (بين) ؟.. ألم أقل : إننى أقوم بعمل هام وسرّى . ولا ينبغى أن يقاطعنى أحد ؟

أجابه (بين) فى توتر :

ـ معذرة يا سيّدى .. أردت فقط أن أقول : إن (جولهى) يستعد لتنفيذ الخطة الليلة .

صرخ (اليعازر) فى ثورة :

ـ فلتذهب أنت و (جولهى) إلى الجحيم .

وأعاد سمّاعة الهاتف فى عنف ، واستطرد ساخطا :

ـ إنهم لايدركون الفارق بين الأمور الهامة والعادية .

ثم زفر فى حنق ، وعاد يلتفت إلى الرجل الجالس أمامه ، قائلاً :

ـ والآن سنواصل مراجعة الخطة .. سيتم الاستبدال غدا ، فى حفل السفارة الأمريكية .. لقد أعد رجالنا كل شىء .. وبعدها ستعود إلى السفارة المصرية ، وتتظاهر بالاصابة بنوبة برد ، وتعتكف فى حجرته ، حتى يحين موعد سفره إلى (النمسا) ، بعد يومين ، وهناك ستلتقى بالهدف ، وستكون فرصتك مثالية لتحديده ، و ...

وابتسم فى شراسة ، قبل أن يستطرد :

ـ وتصفيته ..

انتقلت ابتسامته الشرسة إلى الرجل الجالس أمامه ، والذى قال فى نشوة وحشية عجيبة ، وهو يخرج من جيبه صورة ضحيته المنشودة :

ـ كم أتوق لهذه اللحظة .

وكانت الصورة التى أخرجها من جيبه لشخصية مصرية شهيرة ..

شهيرة للغاية ..

* * *

توقفت سيارة (جولهى) فى تلك المنطقة المقفرة ، جنوب (روما) ، وأطفأ (جولهى) أضواءها ، فغلّف الظلام المكان ، إلا من ضوء القمر ، الذى انتصف فى كبد السماء ، وانعكس بريقه الفضى على أكوام السيارات القديمة ، التى تكدّست على نحو عشوائى فى المكان ، والتفت إلى (أدهم) ، الذى بدا هادئا متماسكًا ، وهو يدير عينيه فى المكان ، وقال (جولهى) مبتسمًا :

ـ ما رأيك فى المكان ؟

قال (أدهم) فى بساطة :

ـ يبدو لى عجيبا ، كمكان للقاء عمل .

أطلق (جولهى) ضحكة ساخرة قصيرة ، وقال :

ـ حقا !

وفجأة ارتفع مسدسه فى وجه (أدهم) ، وهو يستطرد :

ـ وما رأيك بهذا ؟ أيصلح لتوقيع عقد العمل ؟

هتف به (أدهم) ، متصنعا الغضب :

ـ هل جننت ؟

اجابه (جولهى) فى سخرية :

ـ بل أنت الذى أصيب بنوبة سذاجة وغفلة يا رجل المخابرات



وفجأة ارتفع مسدسه فى وجه (أدهم) ، وهو يستطرد :
ـ وما رأيك فى هذا ؟ أيصلح لتوقيع عقد العمل ؟

المصرى .. هل تصوّرت أنك بالذكاء الكافى ؛ لخداعنا . ودفعنا إلى تجنيدك بين صفوفنا ؟.. لقد فحصت الحجرة كلها ؛ للتأكد من أننا لم ندس أية أجهزة تصنت فيها ، ونحن نشهد لك بالبراعة فى عملك هذا ، ولكنك لم تنتبه إلى أننا زرعنا أجهزة التصنت فى الحجرة التى تعلو حجرتك ، وحفرنا ثقبًا فى سمك دبوس صغير ، مرّرنا عبره سلكًا فى سمك الشعرة ، كنا نلتقط به الأصوات من حجرتك ، وبوساطته سمعنا كل حرف دار بينك وبين عامل الفندق ، الذى يعمل لحسابكم .. وكشفنا أمركما .

ثم فرقع سبّابته وإبهامه ، قبل أن يستطرد :

ـ وأعددنا العدة للقضاء عليكما .

وإثر فرقعة إصبعية ، برز من بين السيارات المتهالكة خمسة رجال ، يحملون الهراوات الثقيلة ، وتحيط بأصابع كل منهم قبضات فولاذية ، ذات أطراف حادة مدبّبة ، وابتسامة (جولهى) الساخرة الشامتة تزداد اتساعًا ، وهو يستطرد :

ـ ما رأيك بهذه المفاجأة الطريفة يا رجل المخابرات المصرى ؟.. أراهن أن أمك نفسها لن تتعرّف بقاياك ، عندما ننتهى منك ، ومن ...

بتر عبارته بغتة ، وقد تفجّرت فى أعماقه دهشة عارمة ، تمتزج بقلق لاحدود له ، وحذر مبهم ، عندما ارتسمت على شفتى (أدهم) ابتسامة جذلة ، لاتتناسب أبدًا مع الموقف ، وهو يقول فى لهجة أقرب إلى الارتياح :

ـ أشكرك يا رجل .. إننى أملّ الأسلوب التقليدى حقًا ، وهذا هو النمط الذى أفضّله .. أشكرك بشدة .

ولم يكد ينتهى من عبارته ، حتى تحركت يده اليسرى بسرعة البرق ، تمسك معصم يد (جولهى) ، وترفعه إلى أعلى ، وتبعد فوهة المسدس ، فى نفس اللحظة التى وثبت فيها قبضته اليمنى ، وانفجرت فى أنف (جولهى) ، الذى استحال ضوء القمر الفضى أمام عينيه بغتة إلى ظلام أحمر دام ، و (أدهم) يقفز خارج السيارة ، ويواجه القتلة الخمسة ، و ...

وأسلحتهم المخيفة .





٤ ـ تحت ضوء القمر ..

ابتسم موظف الاستقبال ابتسامة باردة ، وهو يتطلع إلى عامل خدمة الحجرات ، ويقول :

ـ كيف حالك يا (ألفريدو)؟.. نوبة عملك تبدأ فى منتصف الليل .. أليس كذلك ؟

أجابه العامل بابتسامة مماثلة :

ـ أظنك تعلم هذا جيدًا يا (لوردو) .. أليس كذلك ؟

امتزج البرود بشىء من السخرية والشماتة ، على شفتى (لوردو) ، وهو يقول بصوت يحمل نبرة تهكمية :

ـ بلى يا عزيزى (ألفريدو) .. أنا أعلم كل شىء .

رمقه العامل بنظرة استهجان وازدراء ، واتجه إلى مصعد الفندق فى خطوات سريعة ، وهو يشعر بالقلق ..

هل كشفوا أمره ؟! ..

هل علموا أنه يعمل لحساب المخابرات المصرية ؟!..

وأنه مصرى ؟!..

خفق قلبه فى شدة ، وهو يدلف إلى المصعد ، وحاول أن يخفى قلقه وانفعاله ، أمام الرجال الثلاثة الأشداء ، الذين يزحمون فراغ المصعد بأجسادهم الضخمة ، ولكن أحدهم قال فى برود ، بابتسامة صفراء مقيتة :

ـ يبدو أن المصعد لا يحتمل وجودنا جميعًا .

غمغم العامل :

ـ معذرة يا سيدى .. سأغادره فى الطابق الثانى ، فيتسع لكم .

قال الثانى بسخرية :

ـ أوافقك على أنك ستغادره .. ولكن ليس إلى الطابق الثانى .

واستل الثالث خنجرًا ماضيًا ، من جيب سترته ، وهو يضيف :

ـ بل إلى الجحيم .

وهنا أدرك الشاب الموقف ..

وتحرك بسرعة ..

كان الخنجر يهوى على معدته ، ولكنه دفع الواقف إلى جواره جانبًا ، وتفادى نصل الخنجر ، الذى تجاوزه بسنتيمتر واحد ، وانغرس فى ذراع الرجل الثانى ، فى نفس الوقت الذى استل فيه الشاب مسدسه بدوره ، وألصق فوهته بصدر الثالث .. وأطلقه ..

ودوى صوت مكتوم ، وتفجرت الدماء من صدر الرجل الضخم ، وانقلبت مقلتاه ، وجسده ينزلق إلى أسفل ، ويزيد من ازدحام المصعد ، فى حين هتف أحد زميليه ، وهو ينتزع مسدسه :

ـ إذن فأنت تفضل الأسلحة النارية .

أدار الشاب فوهة مسدسه فى سرعة ، وأطلق رصاصة ثانية ، اخترقت ذراع الرجل ، الذى انتزع مسدسه منذ لحظات ..

ولكن الثالث هوى بخنجره على عنق الشاب ..

وأصاب الهدف ..

وترنح الشاب المصرى البطل ، والدماء تتفجر من عنقه حارة غزيرة ، ورفع مسدسه للمرة الأخيرة ، وأطلق منه رصاصة ، اخترقت جمجمة حامل الخنجر ، وألقته إلى جواره جثة هامدة ..

ولهث الرجل الثالث ، وهو يمسك جرح ذراعه ، والمصعد يتوقف به فى الطابق الأخير ، وأخرج جهاز لاسلكى صغير ، وقال عبره فى توتر :

ـ انتهت المهمة رقم واحد .. ولكن ذلك المصرى قتل (شيلوت) و (عفرام) ، وأصابنى برصاصة .. أرسلوا من ينظف المكان ، وأتعشم أن يكون الرفاق فى مخزن السيارات القديم أسعد حظًا .

أجابه زميله ، من الجانب الآخر :

ـ بل قل إنهم أكثر مهارة .. لقد فقدتم رجلين ، للقضاء على شاب واحد ، ولكننى أراهنك أنهم هناك سيمزقون زميله إربًا ، دون أن يطلقوا رصاصة واحدة .

قال الأول فى سخط :

ـ إنهم لم يفعلوا بعد .. من يدرى ؟

نعم .. من يدرى ؟!..

* * *

تفجر الغضب فى أعماق العمالقة الخمسة ، الذين يواجهون (أدهم صبرى) ، عندما رأوه يلكم (جولهى) ، ثم يقفز لمواجهتهم بكل الثقة والسخرية والاستهتار ، فصاح أحدهم ، وهو يندفع نحوه :

ـ مزقوه إربًا يا رفاق .

قالها بالعبرية ، وهو ينقض على (أدهم) ، ويهوى على رأسه بهراوته الضخمة ، ذات النتوءات المعدنية البارزة ، ولكن (أدهم) تفادى الضربة بحركة بالغة المرونة والرشاقة ، بدت وكأنها تلقائية بسيطة ، وهو يقول فى سخرية :

- ألا تظن أيها الوغد أن هذا القول ..

وقبل أن يكمل عبارته اندفعت قبضة تُمسك قبضة الرجل، ثم تعيد الهراوة إليه، وهو يستطرد :

- سابق لأوانه .

وارتطمت الهراوة برأس صاحبها فى عنف، وسمع (أدهم) للارتطام قرقعة مكتومة. ورأى عينى الرجل تجحظان فى شدة، والدماء تتفجر من موضع الارتطام فى جمجمته، قبل أن يهوى فاقد الوعى. فى نفس اللحظة التى بلغ فيها زميله (أدهم)، وصاح فى غضب :

- أتظن نفسك بطلًا، فى فيلم هزلى ؟

تفادى (أدهم) ضربة الهراوة الثانية، ثم ركلها من يد صاحبها بضربة قوية. وهو يقول ساخرا :

- ولم لا تقول إننى أراكم أشبه بدمى قبيحة، فى مسرح للعرائس القديمة ؟

طارت الهراوة من يد الرجل، فضمّ قبضته، التى تحيط بها القبضة الفولاذية، ذات الأطراف الحادة البارزة، وقال :

- حسنً أيها البطل.. خذ هذه اللكمة من العرائس القديمة .

ولكن قبضة (أدهم) تحركت بسرعة مذهلة، وهوت على فك الرجل، وهو يقول متهكمًا :

- معذرة .. لست أميل إلى العروض الساذجة .

ومع سقوط الرجل الثانى، توقف الرجال الثلاثة الآخرون بغتة، والتقت نظراتهم الغاضبة بعينى (أدهم) الساخرتين، وهو يقول :

- حسن .. من التالى ؟

تبادلوا نظرات تجمع ما بين التوتر والغضب، وقد أدركوا أنهم يواجهون خصمًا فريدًا، يتمتع بمرونة مدهشة، وبخبرات قتالية كبيرة، فقال أحدهم :

- إنه يتحدانا .

وهتف الثانى :

- سيدفع ثمن هذا .. هيًا .. سننقضّ عليه فى آن واحد .

وكان ما قال ..

انقض الثلاثة فى لحظة واحدة على (أدهم)، انقضاضة رجل واحد، وكل منهم يطلق صرخة رهيبة، يشيب لهولها الولدان، ويلوّح بهراوته الثقيلة فى الهواء، والتى تكفى ضربة واحدة منها، لتشج جمجمة ثور ضخم ..

وهنا تجلت مهارة (أدهم) الفعلية ..

لقد تفادى ضربة الهراوة الأولى، وقفز جانبًا ليفرّ من الثانية، ثم انحنى لتتجاوزه الثالثة، وأدى كل هذه الحركاتِ الثلاثة فى جزء من الثانية، وبمرونة تثير الدهشة، وبراعة تستحق الإعجاب ..

ثم أتى دوره ليتحرك ..

وليبدأ الهجوم ..

وبالنسبة للرجال الثلاثة، بدا الهجوم وكأنه قد انتهى قبل أن يبدأ، فقد انقضت قبضة (أدهم) اليمنى على فك أولهم كالصاعقة، وانفجرت قبضته اليسرى فى أنف الثالث كالقنبلة، فى نفس اللحظة

التى غاصت فيها قدمه فى معدة الثالث ، ثم ارتفعت فجأة إلى عنقه كالصاروخ ..

وانتهت المعركة بسقوط الرجال الثلاثة ، فاعتدل (أدهم) ، ونفض كفيه فى سخرية ، وهو يقول :

ـ بشأن انقضاضتكم الجماعية ، يؤسفنى أنها لم تحقق غرضها .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى سمع محرّك سيارة (جولهى) يدور ، فالتفت إلى السيارة فى سرعة ، ورأى (جولهى) يصوّب إليه مسدسه ، وهو يهتف فى سخط غاضب ، والدماء تغرق أنفه المحطّم ، ووجهه الشاحب :

ـ لو تصوّرت أن المعركة قد انتهت لصالحك فأنت واهم .

قالها وهو يطلق رصاصة مسدسه نحو (أدهم) ، الذى انحنى فى سرعة ، متفاديا الرصاصة ، واندفع نحو السيارة ، فهتف (جولهى) فى ارتياع :

ـ يا للشيطان !.. أى رجل هذا ؟!

ثم ضغط دوّاسة الوقود ، وانطلق بالسيارة نحو (أدهم) ، مستطردًا بصرخة انفعالية عنيفة :

ـ سأقتله .. سأقتله ولو كان هذا آخر ما أفعله ، فى حياتى كلها .

وكان المشهد عجيبًا ، تحت ضوء القمر ...

سيارة ورجل ، يندفع كل منهما نحو الآخر ، كجوادين يتنازعان على زعامة قطيع ملكى خاص ..

وكان (جولهى) واثقًا من النصر ، حتى أنه صاح :

ـ هيّا .. اقترب أكثر أيها الغبى .. اقترب حتى تسحقك عجلات سيارتى سحقًا .

ولكن فجأة ، وفى اللحظة الأخيرة ، وثب (أدهم) على مقدمة سيارة (جولهى) ، ثم اندفع بقدميه وجسده كله نحو زجاجها الأمامى ..

وركل (أدهم) الزجاج بقدميه ، بكل ما يملك من قوة ، وأضاف هذا إلى قوة اندفاعه ، وقفزته ، و ...

وصرخ (جولهى) فى رعب :

ـ ما الذى يفعله هذا المجنون ؟

وفى اللحظة التالية ، كان جسد (أدهم) يخترق زجاج السيارة ، ويضرب (جولهى) فى عنف ، قبل أن يستقر على المقعد المجاور له ..

وتفجّرت الدماء مرة أخرى من أنف (جولهى) ، وامتزجت بالدماء المتدفّقة من فمه ، وهو يسعل هاتفًا :

ـ ماذا يحدث ؟.. كيف فعلتها ؟

وفى حركة سريعة ، نقل (أدهم) قدمه اليسرى إلى دوّاسة الفرامل أمام (جولهى) ، وهو يقول ساخرًا :

ـ يمكن إدارة الشريط مرة أخرى فى بطء ؛ لمعرفة جواب السؤال .

توقّفت السيارة بحركة حادة ، واندفع جسد (جولهى) إلى الأمام ، وقبل أن يرتدّ إلى موضعه ، كان (أدهم) قد غادر السيارة ، والتف حولها ، وانتزعه من مقعد القيادة بقبضة فولاذية ، فصاح (جولهى) ، وهو يبحث عبثًا عن مسدسه ، الذى سقط فى مكان ما :

ـ ماذا تريد منى ؟

أجابه (أدهم) ، وهو يتطلع إلى عينيه مباشرة ، بنظرة صارمة مخيفة :

ـ بل قل ما الذى لا أريده منك .. إننى أريد كل ما لديك أيها الوغد .. من بداية التحاقك بصفوف (الموساد) ، وحتى هذه اللحظة .

هتف (جولهى) ، وهو يقاوم ذلك الشعور العنيف بالذعر ، الذى راح يسرى في عروقه ، ويجرى مجرى الدم :

ـ أتظنني أخبرك بحرف واحد ؟

أجابه (أدهم) ساخرًا :

ـ أتظن أنت أنك ستخفى سرًا واحدًا ؟

ثم جذبه فى قسوة نحو فجوة مستطيلة عميقة ، ذات جدران من الصلب ، وألقاه داخلها ، فهتف (جولهى) فى عصبية :

ـ لن تخيفنى .

قال (أدهم) فى استهتار ، وهو يتجه نحو لوحة من الأزرار ، تجاور الفجوة المعدنية :

ـ أتظن هذا هدفى ؟

ثم ضغط أحد أزرار اللوحة ، فبدأت الجدران فى التحرك فى بطء ، فى طريقها إلى بعضها البعض ، فصاح (جولهى) :

ـ إنك لن تفعلها .

قال (أدهم) فى سخرية :

ـ حقًا ؟!

تلفت (جولهى) حوله فى رعب ، والجدران تزداد اقترابا ، وصاح :



ثم جذبه فى قسوة نحو فجوة مستطيلة عميقة ، ذات جدران من الصلب ، وألقاه داخلها ..

ـ ما الذى تريد معرفته بالضبط ؟.. إنك حتى لم تحدد .
كان هذا تراجعًا سريعًا صريحًا ، واستسلامًا غير مشروط ، فسأله (أدهم) فى صرامة ، دون أن يوقف حركة الجدران :
ـ أين (إليعازر) ؟.. وما الذى يخطط له بالضبط ؟
بدا (جولهى) عصبيًا ، وهو يصرخ :
ـ ومن أدرانى ؟
عقد (أدهم) ساعديه أمام صدره ، وهو يقول فى استهتار ساخر :
ـ يبدو أنك لا تدرك جيدًا أين أنت يا رجل .. هذه الفجوة المعدنية ، التى تقف داخلها ، تستخدم لضغط السيارات القديمة ، وسحقها ، وتحويلها إلى مكعب معدنى قبيح ، تمتزج فيه الإطارات بالمقاعد والجدران ، على نحو يستحيل معه تمييز بعضها عن بعض .. وهذا بالضبط ما سيحدث لك ، عندما تعتصرك الجدران فيما بينها .. ستنسحق عظامك ، وتختلط بدمائك وعضلاتك ، ويصبح تعرّف بقاياك أشبه بلغز مستحيل ، و ..
قاطعه (جولهى) ، وهو يهتف فى ارتياع :
ـ اقسم لك أننى لا أعرف أين (إليعازر) ، وما الذى يخطط له .. لا أحد سوى معاونه (بين) يمكنه هذا .. كل ما أفعله هو أن أتصل برجل يدعى (ماركو) ، وأبلغه ما لدى ، وبعدها أجهل حتى ما يفعله .
قال (أدهم) :
ـ كاذب .. الجميع يعلم أنك مساعد (إليعازر) .
صرخ (جولهى) ، وهو يراقب اقتراب الجدران فى رعب :
ـ هذا ما يوهم به الجميع ، ولكن الواقع أننى أحد رجاله فحسب .. معاونه هو (بين) .. (بين) وحده .. أقسم لك .

ثم هتف فجأة :
ـ هل أتيتم أخيرًا ؟
وفى نفس اللحظة ، انتبه (أدهم) إلى وقع الأقدام ، التى تقترب من ظهره فى سرعة وخفة ، والتى أخفتها تلك الضوضاء ، التى تصدر من آلة سحق السيارات القديمة ، وأراد أن يلتفت بسرعة لمواجهتها ، ولكن ..
بعد فوات الأوان ..
لقد هوت ضربة عنيفة على مؤخرة رأسه ، بجسم معدنى ثقيل ، كاد يحطّم جمجمته ..
وبعدها أظلم كل شىء ..
وسقط الرجل ..
رجل المستحيل .

* * *



٥ ـ الهـدف ..

تطلع (إليعازر) إلى ساعته، التى أشارت عقاربها إلى الواحدة صباحا، قبل أن يرفع سبابته، ويشير إلى أحد رجاله، فأطفأ الرجل أضواء الحجرة الواسعة، التى يجلس فيها (إليعازر) مع رجله، الذى أجرى جراحة التجميل، ثم أشعل آلة عرض سينمائية، وتحركت الصور على الشاشة، وقال (إليعازر):

ـ هذا هو هدفك يا (سيجال) .. هل تعرفه ؟

ابتسم (سيجال)، وقال:

ـ ومن ذا الذى يجهله؟.. إنه الآن محط أنظار العالم أجمع.

قال (إليعازر)، وهو يتابع العرض السينمائى فى اهتمام:

ـ وسيزداد قوة، لو لم توقفه عند حدّه .. إنه داهية سياسى، يسعى لإضعاف دولتنا بوسيلة ذكية، وبخطة بطيئة ومدروسة، ويتصرف على الساحة بذكاء الثعالب، وسرعة الخيول.

بدا الاهتمام فى صوت (سيجال)، وهو يقول:

ـ ولكننا لم نلجأ إلى اغتيال أمثاله من قبل.

ابتسم (إليعازر) ابتسامة جانبية صفراء، وهو يقول:

ـ حقًا ؟!

ثم استدرك فى سرعة:

ـ ولكن دعنا من مناقشة مثل هذه الأمور، ولنركز على خطتنا .. المفروض أن يقوم هذا الرجل بزيارة لـ (النمسا)، بعد يومين،

والمفروض أيضًا أن يلتقى به الملحق الصحفى للسفارة المصرية فى (إيطاليا) هناك، مع وفد من أعضاء السفارة، حيث ستتم ترقية الملحق الصحفى إلى درجة مستشار صحفى، بسفارة (مصر) هناك.

واعتدل ليستطرد فى لهجة أشبه بالاستمتاع:

ـ وغدا ستحل أنت محل الملحق الصحفى، طبقًا للخطة التى وضعناها، وستسافر إلى (النمسا) باسمه، ووجهه، وجواز سفره الدبلوماسى، وهناك ..

بتر حديثه، وفرقع سبابته وإبهامه، مؤديًا المعنى المقصود، فابتسم (سيجال)، وقال فى لهجة أقرب إلى الجذل:

ـ أتمّ المهمة.

أجابه (إليعازر)، وهو ينفث دخان سيجارته فى قوة:

ـ بالضبط ..

وعاد الاثنان يتابعان العرض السينمائى فى اهتمام بالغ ..

* * *

توقف الزمن فى عقل (أدهم صبرى)، ثم عاد الوعى إليه بغتة .. وفى اللحظة الأولى، شعر بصداع شديد، وبألم فى عظام جمجمته، وفقد القدرة على التركيز لحظة أخرى، ثم لم يلبث أن استعاد إدراكه كله دفعة واحدة ..

وبسرعة، استوعب موقفه ..

كان ملقى على الأريكة الخلفية لسيارة قديمة متهالكة، علا الصدأ معظم أجزائها، وحبل غليظ يقيد قدميه، وآخر يحيط بمعصميه خلف

ظهره ، والسيارة كلها داخل فجوة سحق السيارات القديمة ، التى يقف أمام لوحة أزرارها (جولهى) ، مع أربعة رجال آخرين ، يحملون المسدسات والهراوات الثقيلة ، و (جولهى) يقول فى مزيج من الغضب والشماتة :

ـ لقد استعدت وعيك بسرعة أيها المصرى ، وهذا يشف عن قوة احتمال لا بأس بها .

ارتفع صوت (أدهم) ، وهو يقول فى سخرية :

ـ ما هذا ؟.. هل انتقلت إلى الجحيم ؟.. إننى أرى بعض الشياطين القبيحة الخلقة ، وأسمع أصواتًا نكراء .

قال (جولهى) فى حدة :

ـ كلا أيها المتحذلق .. لست بعد فى الجحيم ، ولكنك لن تلبث أن تصل إليه ، بنفس الوسيلة التى أردت إرسالى بها .

وضغط زر التشغيل ، فبدأت الجدران تقترب من بعضها البعض ، وهو يتابع فى شماتة عصبية :

ـ كان بإمكانى تشغيل الآلة وأنت فاقد الوعى ، ولكننى انتظرت استعادتك لوعيك ، حتى أستمتع بكل لحظة ، تقضيها داخل السيارة القديمة ، قبل أن تسحقك المكابس الهائلة داخلها ، وتمزج عظامك ودماءك بإطاراتها وجدرانها .

أطلق (أدهم) ضحكة ساخرة عالية ، أثارت دهشة (جولهى) وغضبه ، قبل أن يقول :

ـ يا له من موقف مؤثر !.. من تظن نفسك بالضبط أيها الوغد ؟.. سير (لورانس أوليفييه) ، على خشبة المسرح

البريطانى ، يؤدى واحدًا من أدواره المأساوية القديمة (*) ؟!.. أم أنك تؤدى دور (هاملت) (* *) ، فى رواية هزلية ؟.. من المؤسف أننى مقيد المعصمين ، وإلا لصفقت لك ، كممثل هزلى ومهرج ظريف .

قفز (جولهى) يضغط زر تشغيل الآلة ، وهو يقول :

ـ فليكن .. اسخر ما شئت ، ولنر كم ستبلغ سخريتك ، والآلة تطحن عظامك طحنًا .

بدأت الجدران تقترب من بعضها البعض ، ولكن (أدهم) بدا هادئًا ساخرًا ، وهو يقول :

ـ وما المفروض أن أفعله الآن ؟.. هل أصرخ وأتوسل طالبًا الرحمة ، أم انفجر ضاحكًا .

لم يجب (جولهى) ، وإنما عض شفتيه فى غيظ ، وقال لأقرب الرجال إليه :

ـ أراهنك أن هذا المتحذلق سيصرخ رعبًا ، عندما تبدأ مكابس الآلة فى اعتصار السيارة .

(*) (سير لورانس أوليفييه) : ممثل ، ومخرج ومدير مسرح انجليزى ، ظهر لأول مرة كممثل فى مهرجان مسرحيات (شكسبير) ، فى ستراتفورد) ، عام ١٩٢٢م . وبدأ التمثيل فى السينما عام ١٩٣٠م ، ومن أشهر أفلامه (هنرى الخامس) و (هاملت) و (أوديب) ، ومنحته الملكة لقب (سير) لروعة أدائه ، وقوة أسلوبه .

(* *) هاملت : الشخصية الرئيسية فى واحدة من أعظم مسرحيات (شكسبير) ، وهو ينتقم فيها ممن قتل والده وتزوج أمه .

ولكن (أدهم)، الذى احتفظ بمظهره الهادئ، وابتسامته الساخرة، كان فى أعماقه أشبه ببركان ثائر عنيف، يغلى ويثور ويتقلب، ويطلق حممًا ملتهبة هائلة. ويداه تمزقان أغطية الأريكة فى قوة وسرعة، وتنتزعان منها بعض الأسلاك، والبايات الأساسية..

وراحت الجدران تقترب أكثر وأكثر، و(أدهم) يستخدم طرف الأسلاك فى تمزيق قيود معصميه، فى سرعة ومهارة..

وبلغت الجدران الضخمة السيارة، وضغطت مقدمتها وحقيبتها، وصرخ (جولهى) فى انفعال، وهو يطلق ضحكة جنونية شرسة:

- هيا.. أرنى كيف ستضحك الآن أيها البطل الوهمى.. هيا.

ورأى (أدهم) ينكمش على نفسه، ويضمّ ركبتيه إلى صدره فى قوة. فصاح فى انتصار وحشى:

- لن يفيد هذا.. لقد خسرت اللعبة يا رجل.. خسرتها تمامًا.

ولكن فجأة، انفرد جسد (أدهم)، قبل لحظة واحدة من انطباق السيارة، ووثب فى مرونة عبر بابها الخلفى المكسور، وصاح أحد الرجال:

- يا للشيطان!.. لقد هرب الرجل يا (جولهى).

كادت عينا (جولهى) تقفزان من محجريهما، عندما رأى (أدهم) يندفع خارج السيارة، وقد تخلص من قيوده، ثم يثب ليتعلق بحافة أحد الجدران المتحركة، ويدفع جسده إلى أعلى، ويعتلى الجدران بخفة مدهشة، فصرخ:

- اقتلوه.. اقتلوا هذا الشيطان.

أفاق الرجال الأربعة على صيحته، من أثر المفاجأة، ورفع كل منهم مسدسه، وأطلق النار نحو (أدهم)، الذى تحرّك بسرعة مذهلة، واندفع يعدو مبتعدًا، والرصاصات تطارده، وتصيب أجسام السيارات القديمة من حوله، حتى اختفى وسط أكوام الخردة الضخمة، فصرخ (جولهى)، وقد أصابه غضب جنونى، أحاله إلى نمر مفترس:

- الحقوا به.. أريده قتيلًا بأى ثمن.. لن يحيا بعد كل ما فعله.

انطلق الرجال الأربعة يدورون حول الفجوة، ويندفعون داخل أكوام الخردة، فى حين عاد (جولهى) إلى سيارته، وجلس داخلها متحفزًا ومسدسه فى قبضته، وهو يغمغم محنقًا:

- أى شيطان هذا ؟!.. كيف يفعل كل ذلك ؟

راعه ذلك الصمت، الذى خيم فجأة على المكان كله، وأثار توتره أنه لا يدرك ما يحدث، داخل أكوام الخردة البعيدة، فتابع فى حدة:

- لماذا تأخر هؤلاء الأوغاد ؟.. لماذا تركونى هكذا، دون أن يخبرونى أين ذلك الشيطان ؟

انتفض جسده انتفاضة عنيفة، ارتجّ لها كيانه كله، عندما أتى من جانبه صوت صارم ساخر، يقول:

- هنا.

التفت (جولهى) بكل سرعته، وتوتره، وذعره، وارتياعه، وغضبه، وانفعاله، ولكن فكه ارتطم بقبضة فولاذية، قبل أن ينتزعه (أدهم) من مقعد القيادة، ويلوى معصمه الممسك بالمسدس، فيجبره على التخلى عنه، وهو يقول:

- هل أدهشك وجودى ؟

هتف (جولهى) فى رعب :

ـ أين الرجال ؟

أجابه (أدهم) فى سخرية صارمة مخيفة :

ـ لم ترق لى وجوههم ، فحطمتها فى صمت ، ثم تسللت على أطراف أصابعى إليك ، لأفاجئك بأغنية عيد الميلاد .

كان هذا أكثر مما تحتمل أعصاب (جولهى) ، فانهار هاتفًا :

ـ ماذا تريد منى ؟.. اتركنى .. أرجوك .

كرر (أدهم) سؤاله فى قسوة :

ـ أين (إليعازر) ؟.. وما الذى يدبره بالضبط ؟

أجابه (جولهى) منهارًا :

ـ أقسم لك ألف مرة أننى أجهل أين هو .. كل ما أعلمه هو أنه اختفى ليعمل فى مهمة خاصة ، وبالغة الخطورة .. تتعلق بكم .. هذا كل ما أعلمه .. أقسم لك .

مضت لحظة من الصمت ، ثم قال (أدهم) فى برود عجيب :

ـ إننى أصدقك .

ثم قفزت قبضته فجأة لتنفجر فى أنف (جولهى) وفكه ، وانحبست صرخة ألم وذعر فى حلق هذا الأخير ..

ثم انتهى كل شئ ..

* * *

اندفع النقيب (حازم) عبر ممرات مبنى المخابرات العامة ، واقتحم حجرة مدير مكتب مدير المخابرات ، وهو يهتف فى انفعال :

ـ أريد مقابلة سيادة المدير الآن .. الأمر بالغ الخطورة .

هب مدير المكتب من مقعده ، وقال :

ـ لحظة واحدة .

وطرق باب مدير المخابرات ، ثم دلف إلى حجرته فى سرعة ، وغاب فيها لحظات ، بدت أشبه بالدهر ، بالنسبة للنقيب (حازم) ، الذى فوجئ بالمدير نفسه يخرج إليه وهو يقول فى قلق :

ـ ماذا هناك يا (حازم) ؟

دفع إليه (حازم) برقية مكتوبة بالشفرة ، وصلت منذ لحظات من (روما) ، وهو يقول فى انفعال :

ـ لقد قتلوا (فريد) .

هتف المدير :

ـ ماذا ؟.. قتلوه ؟!.. يا إلهى !.. لقد كشفوا أمر المسكين .

ثم أضاف فى سرعة وتوتر :

ـ وماذا عن النقيب (أدهم) ؟.. هل ظفروا به أيضًا ؟!

أجابه (حازم) :

ـ ليس بعد .. لا يوجد أى دليل على هذا ، ولكن قتلهم لـ (فريد) يعنى أن المهمة كلها قد انكشفت ، ولم يعد من الممكن أن نواصلها .

التقى حاجبا المدير فى توتر ، وهو يقول :

ـ يا للخسارة !

وقضى لحظات أخرى فى صمت وتفكير عميقين ، قبل أن يرفع عينيه إلى (حازم) ، ويقول فى حسم صارم :

ـ لن نواصل المخاطرة .. أرسل برقية شفرية عاجلة إلى

(روما) ، ومر رجال مكتبنا هناك بالبحث عن النقيب (أدهم صبرى) فى كل مكان ، وإبلاغه الأوامر الجديدة .

ورفع عينيه إلى أعلى ، مستطردًا فى لهجة لاتقبل النقاش :

ـ قل له : أن يعود على الفور إلى (القاهرة) .. لقد ألغيت المهمة .. ألغيت تمامًا .

ولم يعد هناك ما يقال .

* * *



٦ ـ لعبة منفردة ..

كانت عقارب الساعة تشير إلى الرابعة صباحًا ، عندما دس (أدهم) مفتاحًا خاصًا ، فى ثقب باب شقة صغيرة ، فى أطراف (روما) ، ولم يكد يدلف إليها ، ويغلق بابها خلفه فى سرعة ، حتى سمع صوتًا يهمس داخلها :

ـ أخيرًا .

وبسرعة البرق تحرك (أدهم) ..

انحنى متفاديًا أية رصاصة ، قد تنطلق نحوه ، ثم وثب نحو مصدر الصوت ، الذى حددته أذناه المدربتان ، دون أن يضىء مصباح الردهة ، وأمسك بتلابيب شخص ما ، وكاد يكيل له لكمة ساحقة ، لولا أن هتف هذا الشخص :

ـ إنه زميل أيها النقيب .

توقفت يد (أدهم) فى الهواء ، ثم جذب صاحب الصوت إليه فى عنف ، وهو يمد يده ليشعل أضواء الردهة ، قائلًا :

ـ حقًا ؟!

وتطلع على الضوء إلى وجه ذلك الشاب ، الذى يمكن أن يكون إيطاليًا ، من قمة رأسه حتى أخمص قدميه ، لولا تلك اللهجة المصرية الخالصة ، التى تحدث بها ، قائلًا :

ـ أنا النقيب (عصمت جمال الدين) .. من مكتب (روما) .. أنا الصقر الإيطالى .



توقفت يد (أدهم) فى الهواء ، ثم جذب صاحب الصوت إليه فى عنف ، وهو يمد يده ليشعل أضواء الردهة ..

كانت الكلمة الأخيرة هى مفتاح السر ، الذى أكد لـ (أدهم) صدق قول الشاب ، فأفلته فى هدوء ، وهو يقول :

ـ مرحبا أيها الزميل ، ولكن ماذا تفعل هنا ، فى هذا المنزل الآمن (★) ؟.. المفروض ألا يستخدمه سواى ، خلال هذه المهمة .

عدّل (عصمت) ثيابه ، وهو يقول :

ـ إننى أنتظرك هنا منذ ساعتين ، فقد علم الرؤساء فى (القاهرة) أن رجال (الموساد) كشفوا أمرك وأمر (فريد) ، وأنهم قد قتلوا (فريد) فى الفندق ، وأنك حتما ستأتى إلى هنا ، لو كُتبتْ لك النجاة .

قال (أدهم) فى غضب يمتزج بالحزن :

ـ قتلوا (فريد) ؟!.. يا للأوغاد !.. سيدفعون ثمن دمائه الطاهرة غاليًا .

عقد (عصمت) حاجبيه ، وقال :

ـ لن يكون هناك وقت لهذا .

التفت إليه (أدهم) بحركة حادة ، وقال :

ـ ماذا تعنى ؟

أجابه (عصمت) فى سرعة :

ـ لقد ألغيت المهمة ، والأوامر تحتم عودتك إلى (القاهرة) ، فى أوّل طائرة .

(★) المنزل الآمن : مصطلح يستخدمه رجال المخابرات ، للإشارة إلى مكان سرى غير معروف للمخابرات الأخرى والعدوة ، يمكن أن يلجأ إليه أى رجل مخابرات ، عندما يحتاج إلى الأمان والسرية ، فى مكان ما .

بدت الصدمة لحظة على وجه (أدهم) ، قبل أن ينعقد حاجباه فى شدة ، ويقول فى صرامة عجيبة :

ـ مستحيل !

قال (عصمت) فى حدة :

ـ إنها الأوامر .

صاح (أدهم) فى غضب :

ـ أية أوامر ؟!.. هؤلاء الأوغاد يعدون شيئًا بالغ الخطورة ، ونحن نجهل كل شيء عما يعدُون ، ولقد وجدت أخيرًا وسيلة للتوصل إليهم ، ومعرفة ما يدبرونه لنا ، فكيف أتوقف الآن ؟

قال (عصمت) :

ـ الأوامر هى الأوامر ، وأنت تعلم القواعد فى هذا الشأن .. لقد أبلغتك بضرورة عودتك إلى (القاهرة) ، و ...

قاطعه (أدهم) فجأة :

ـ وماذا لو أنك لم تبلغنى ؟

حدّق (عصمت) فى وجهه بدهشة ، وبدا الحذر واضحًا فى صوته ، وهو يقول :

ـ ماذا تعنى ؟

أجابه (أدهم) فى سرعة :

ـ أعنى ماذا لو أنك لم تتمكن من العثور علىّ ، ولم تبلغنى الأوامر ؟

التقى حاجبا (عصمت) في شدة ، وهو يقول :

ـ ولكننى عثرت عليك ، وأبلغتك الأ ...

قاطعه (أدهم) مرة أخرى :

ـ ليس بصورة رسمية .

هتف (عصمت) فى حدة :

ـ ما الذى تحاول قوله بالضبط أيها الزميل ؟

مال (أدهم) نحوه ، وتطلّع إلى عينيه ، قائلًا :

ـ أريد أن أقول : إنه من الناحية الرسمية ، فأنت لم تعثر علىّ ، وأنا لم أعد إلى هذا المنزل الآمن ، ولم تبلغنى أوامر العودة .

هزّ (عصمت) رأسه ، وقال :

ـ هذه لعبة بالغة الخطورة .

قال (أدهم) فى صرامة :

ـ اترك لى خطورتها كلها ، وواصل أنت عملك الرسمى .. فقط ستقول : إنك لم تجدنى ، ولم تستطع إبلاغى أوامر العودة .. افعل هذا وإلا فانقل إليهم استقالتى ، ولكننى لن أتوقف الآن .. هل فهمتنى جيّدًا أيها الزميل ؟

قالها واستدار مغادرًا المنزل الآمن ، وأغلق الباب خلفه فى قوة ..

وفى صلابة ..

* * *

ابتسم الملحق الصحفى بالسفارة المصرية فى (روما) ، (إبراهيم فؤاد) ، وهو يملأ صدره بالهواء النقى ، فى ساعة مبكّرة من الصباح ، وربت على صدره فى ارتياح ، مغمغمًا :

ـ حقًا .. البركة فى البكور .

كان يرتدى زيًا رياضيًا بسيطًا ، وينتعل أحد الأحذية ، ذات السمعة

الرياضية الشهيرة ، وهو يعبر حديقة السفارة فى خطوات نشطة ، ويلقى تحية الصباح على حارس الأمن ، قائلًا :

ـ صباح الخير يا (فتحى) .. كيف حالك اليوم ؟

أجابه (فتحى) بابتسامة مماثلة ، وهو يقول :

ـ صباح الخير يا سيِّدى الملحق .. شكرًا لسؤالك .

ثم استطرد فى آلية ، والملحق يغادر مبنى السفارة :

ـ ألا تحب أن يرافقك أحد رجال الأمن ؟

اتسعت ابتسامة الملحق الصحفى ، مع ذلك السؤال التقليدى ، الذى يلقيه عليه حارس الأمن كل صباح ، وأجاب :

ـ كلا يا (فتحى) .. أشكرك .. أحب أن أستمتع بنزهتى اليومية ، فلا داعى للمواكب الرسمية .

ثم ضحك مستطردًا :

ـ ثم إننى لست سيادة السفير .. من ذا الذى يفكِّر فى ملحق صحفى مسكين مثلى .

ابتسم الحارس فى آلية ، وتابعه ببصره كالمعتاد ، وهو يبتعد فى خطوات سريعة ، أقرب إلى العدو ، ثم لم يلبث أن هزَّ رأسه بلا معنى ، وعاد يراقب الطريق فى ملل ..

وابتعد الملحق الصحفى عن السفارة ، وهو يعدو فى بطء ، بين الحدائق الغنَّاء ، والشوارع الواسعة المحيطة بمبنى السفارة ، ويملأ صدره بالهواء النقى ، دون أن ينتبه إلى تلك السيارة الكبيرة ، التى تبعته فى بطء ، حتى أصبحت خلفه تمامًا ، وهبط منها رجلان ، اعترضا طريقه فى خشونة ، فتوقَّف قائلًا فى غضب :

ـ ما هذا بالضبط ؟..

ولكن أحد الرجلين أخرج من جيبه فجأة بخاخة صغيرة ، دفع رذاذها فى وجه الملحق ، الذى صاح وهو يبعد وجهه بسرعة :

ـ يا إلهى !.. إنها محاولة اختطاف .

ولكنه استنشق ، على الرغم منه كمية كبيرة من الرذاذ المخدِّر ، مع المفاجأة والانفعال ، وانقضَّ عليه الرجلان فى الوقت ذاته ، وكبَّلا حركته ، وهما يدفعانه نحو مؤخرة السيارة الكبيرة ..

وقاوم الرجل مختطفيه ، وتلك الغيبوبة التى تحيط برأسه ، وهما يدفعانه داخل الصندوق الخلفى للسيارة الكبيرة ..

وفجأة تفجَّرت الدهشة فى أعماقه ..

كان يقف أمام نسخة طبق الأصل منه ..

نسخة تبتسم فى سخرية ، وهى تتطلَّع إليه بعينين تشبهان عينيه تمامًا ، حتى أنه هتف :

ـ أى عبث ...

ثم لم يتمّ عبارته ..

لقد أظلمت الدنيا أمام عينيه فجأة ، و ...

وهوى فاقد الوعى ..

وفى هدوء ، انحنى (سيجال) يفحص الملحق ، ثم اعتدل قائلًا :

ـ عظيم .

كان يرتدى زيًا رياضيًا يطابق تمامًا الزى الذى يرتديه الملحق الصحفى ، وحذاءً من النوع نفسه ، لذا فقد غادر السيارة على الفور ، وهو يقول للرجلين :

- انقلاه إلى البيت الأسود ، وهناك يتخذون قرارهم بشأنه .

انطلق الرجلان بالسيارة ، وداخلها الملحق الصحفى الفاقد الوعى ، فى حين راح (سيجال) يعدو بنفس الخطوة البطيئة ، عائدًا إلى السفارة ، ولم يكد يتجاوز بوابتها ، حتى عطس فى شدة ، وقال للحارس ، وهو يخفى نصف وجهه بمنديل كبير :

- يبدو أننى أصبت بنوبة برد يا (فتحى) .

قال الحارس متعاطفًا :

- هل أوقظ الملحق الطبى يا سيدى ؟

لوح بذراعه ، وهو يتجه إلى مبنى السفارة ، قائلًا :

- لا داعى يا (فتحى) .. لدى كل ما أحتاجه فى حجرتى .

تابعه الحارس ببصره فى قلق ، ثم لم يلبث أن تمتم :

- إنه لا يحافظ على صحته كما ينبغى .

وعاد يواصل عمله المعتاد ، فى حين صعد (سيجال) فى سرعة إلى مسكن الملحق الصحفى ، ولم يكد يغلق بابه خلفه ، حتى ارتسمت على شفتيه ابتسامة ظافرة ، وهو يقول فى خفوت :

- مرحى أيها المصريون .. ها نحن أولاء فى قلب عرينكم ، دون حتى أن تشعروا .

وكادت ابتسامته تتحول إلى ضحكة ..

ضحكة ساخرة ..

* * *

هب (ماركو) من فراشه مذعورًا ، مع تلك الطرقات العنيفة على باب حجرته ، وأسرع يفتح الباب ، ثم هتف فى دهشة :

- (جولهى) ؟!.. ما الذى أتى بك ، فى مثل هذه الساعة المبكرة ؟

اندفع (جولهى) إلى الداخل ، وهو يهتف :

- مصيبة يا (ماركو) .. كارثة .. المصريون خلف عمليتنا .

قال (ماركو) فى دهشة :

- أية عملية ؟.. ثم من الذى فعل بك كل هذا ؟.. أنفك محطم تمامًا .

صاح (جولهى) :

- دعك من أنفى الآن .. المهم أن نبلغ أدون (اليعازر)(*) بهذا على الفور .

- أأنت واثق من أن الأمر يستحق ؟!.. أنت تعرف تعليمات (اليعازر) .. لا ينبغى أن يتم الاتصال به ، إلا فى أضيق الحدود .

هتف (جولهى) فى حدة عصبية :

- أينبغى أن أقسم لك ؟.. قلت لك : إن الأمر عاجل وحيوى للغاية .

تنهد (ماركو) ، وهز كتفيه ، قائلًا :

- فليكن .. سأنقل رسالتك هذه إلى (جروهى) ، وليكن ما يكون .

وانحنى يلتقط جهاز اللاسلكى الخاص به ، من أسفل الفراش ، وضغط زر الاتصال به ، وقال :

- من (بيت) إلى (جيمل) .. أجب .. الأمر عاجل .

كرر النداء عدة مرات ، قبل أن يأتيه صوت متناوم ، يقول فى حنق :

(*) أدون : كلمة عبرية ، تعنى السيد .

- من (جيمل) إلى (بيت) .. أى أمر هذا ، الذى يجعلك توقظنى فى ساعة كهذه ؟

أجابه (ماركو) :

- رسالة عاجلة إلى (فاف) .. المصريون خلف العملية ..

قال (جروهى) فى دهشة :

- أية عملية ؟

أجابه (ماركو) فى صرامة :

- انقل ما سمعته إلى (دالت) فحسب .

ألقى (جروهى) سؤالًا آخر ، امتزج برنين الهاتف ، فقال (ماركو) فى حدة :

- انتظر حتى أجيب هذا الهاتف ، فيبدو أن الجميع قد استيقظوا مبكرًا هذا الصباح .

رفع سمّاعة الهاتف ، وقال فى حدّة :

- من المتحدّث ؟

اتسعت عيناه فى ذهول ، عندما سمع صوت محدثه ، وحدّق فى وجه (جولهى) فى دهشة عارمة ، قبل أن يلقى سمّاعة الهاتف على الفراش ، ويصرخ وهو يختطف مسدسه المزوّد بكاتم الصوت

- يا للشيطان !.. أنت زائف .. أنت لست (جولهى) .

وبدون إضافة أخرى ، صوّب المسدس نحو الشخص الواقف أمامه ، و ...

وأطلق النار .

* * *

٧ـ من (ألف) إلى (فاف) ..

التقى حاجبا مدير المخابرات فى شدة ، وهو يقول للنقيب (حازم) فى حدّة :

- ماذا تعنى بأنكم لا تستطيعون إلغاء العملية ؟.. أى عبث هذا ؟

قلب (حازم) كفيه ، وهو يقول فى توتر :

- (عصمت) أرسل برقية من (روما) ، يقول فيها : إن النقيب (أدهم) لم يأت إلى المنزل الآمن ، ولم يعد إلى الفندق .

اعتدل مدير المخابرات ، وهو يقول :

- هل تخلص منه الإسرائيليون أيضا ؟

هزّ (حازم) رأسه نفيًا ، وقال :

- كلّا .. برقية (حازم) تقول : إنه هناك دلائل تؤكد أن (أدهم) على قيد الحياة ، يواصل عمله بحماس وإصرار ، ولكن (عصمت) يعجز عن العثور عليه .

ازداد انعقاد حاجبى مدير المخابرات ، وهو يتراجع فى مقعده ، ويشبك أصابع كفيه أمام وجهه ، ويغرق فى تفكير عميق ..

واحترم (حازم) هذا الصمت ، الذى خيم على الحجرة ، فلم ينبس ببنت شفة ، ولاذ بالصمت التام ، حتى اعتدل المدير فجأة ، وزال انعقاد حاجبيه ، وهو يقول :

- حسنًا .. قل لـ (عصمت) أن يكف عن البحث .

بدت الدهشة على وجه (حازم) ، وهو يقول :

ـ أتعنى أن العملية ستستمر يا سيّدى، على الرغم مما حدث ؟
أجابه المدير بابتسامة غامضة :
ـ إنها ستستمر .. سواء شئنا أم أبينا يا (حازم)، فالمسئول عنها شخص شديد العناد والإصرار، ومن العسير .. بل من المستحيل الآن العثور عليه، ومنعه من المضى قدمًا .
ثم عاد حاجباه يلتقيان، وهو يستطرد فى صرامة :
ـ وهذا لا يمنع من كونه يرتكب واحدًا من أكبر الأخطاء، فى عالم المخابرات، فالأوامر هى الأوامر، وطاعتها واجبة وحتمية، وإذا ما أنهى النقيب (أدهم صبرى) هذه المهمة، وعاد إلى الوطن، فسيواجه عقابًا عنيفًا .. عنيفًا جدًا .
وشعر (حازم) بالقلق، و ...
والخوف ...

* * *

كان ذهول (ماركو) شديدًا، عندما فوجئ بـ (جولهى) يتصل به هاتفيًا، فى نفس اللحظة التى يقف أمامه، ولكن ذلك الذى يتصل هاتفيًا صاح به :
ـ (ماركو) .. هناك شخص ينتحل شخصيتى، ويحاول خداعك، حتى توصله إلى (إليعازر) .. احترس يا (ماركو) .. إنه زائف .. زائف .
وهنا استحال ذهول (ماركو) إلى موجة غضب، جعلته يستل مسدسه، ويصرخ بالعبارة السالف ذكرها، ثم يطلق النار نحو ذلك الواقف أمامه ..

ولكن الرجل تفادى الرصاصة، وهو يهتف :
ـ أيها الوغد .
وانقضّ بدوره على (ماركو)، وأمسك معصمه فى قوة، وركله بركبته فى معدته، إلا أن (ماركو) احتمل الضربة، ودفع خصمه بعيدًا، وهو يهتف :
ـ لقد انكشف أمرك .
صاح به الرجل :
ـ أنت أغبى شخص رأيته، فى حياتى كلها .
جذب (ماركو) معصمه من يد الرجل فى عنف، وهو يقول :
ـ خطأ .. أنت أكثر غباء ..
ثم أمال فوهة المسدس، وأطلق النار ..
وأصابت الرصاصة معدة الرجل هذه المرة، فانحنى فى ألم، مما جعل رأسه فى مواجهة فوهة المسدس، و ...
وأطلق (ماركو) رصاصته الثانية ..
وانفجرت جمجمة الرجل ..
وهوى جثة هامدة ..
ونصب (ماركو) قامته فى ظفر، وهو يقول فى سخرية :
ـ كنت تظن أنك قادر على خداع (ماركو) .
انحنى ليفحص جثة خصمه، عندما ارتفعت دقات على باب حجرته، فاعتدل فى حركة حادة، وتحفز مسدسه فى قبضته، وهو يقول :
ـ من الطارق ؟

أتاه صوت (جولهى) ، قائلًا :

ـ إنه أنا .

أسرع (ماركو) يفتح الباب ، وهو يقول :

ـ كيف وصلت بهذه السرعة ؟..

تجاهل (جولهى) السؤال ، وهو يتطلع الى جثة الرجل ، قائلًا :

ـ من الواضح أنك تخلصت منه .

قال (ماركو) فى زهو :

ـ وهل كنت تشك فى هذا ؟

هز (جولهى) رأسه نفيًا فى هدوء ، وقال وهو ينحنى ليلتقط شيئًا ما ، من جثة القتيل .

ـ مطلقًا ، فعندما تصاب الذئاب بالسعار ، يكون من المعتاد أن يفترس بعضها البعض .

بدت لهجته عجيبة ، على نحو أثار دهشة (ماركو) وقلقه ، فغمغم فى توتر :

ـ ماذا أصابك ؟

تجاهله (جولهى) تمامًا ، هذه المرة أيضًا ، وهو يمسك جهاز تسجيل صغير ، التقطه من جثة القتيل ، وضغط أحد أزراره فى اهتمام ، فهتف (ماركو) :

ـ قل لى : ماذا أصابك ؟

وفجأة انتبه إلى أن (جولهى) يبدو أطول كثيرًا من المعتاد ، وأكثر ثقة واعتدادًا ، فتراجع فى حركة حادة ، وصوّب إليه مسدسه ، قائلًا :

ـ من أنت ؟..

وفجأة تحرّك (جولهى) فى سرعة مدهشة ، وأمسك معصم (ماركو) بيسراه ، ورفع يده الممسكة بالمسدس عاليًا ، وهو ينتزع المسدس من قبضته بيمناه ، فى قوة شديدة ، قائلًا بسخرية لاذعة ، وبصوت يخالف صوته تمامًا :

ـ ألم تحذّرك أماك من اللعب بالأسلحة النارية ، حتى لا تبلّل فراشك فى المساء ؟

صاح (ماركو) فى ألم وذعر :

ـ أنت لست (جولهى) .

أجابه (أدهم) فى سخرية ، وهو يشير إلى الرجل الذى قتله (ماركو) منذ قليل :

ـ بالطبع .. هذا هو (جولهى) .. لقد قتلته بنفسك .

صاح (ماركو) :

ـ مستحيل !.. مستحيل !

وانقضّ بحركة غريزية على (أدهم) ، الذى استقبله بلكمة كالقنبلة ، حطمت أنفه ، وألقته على فراشه فى عنف ، فصرخ محاولًا إيقاف نزيف أنفه :

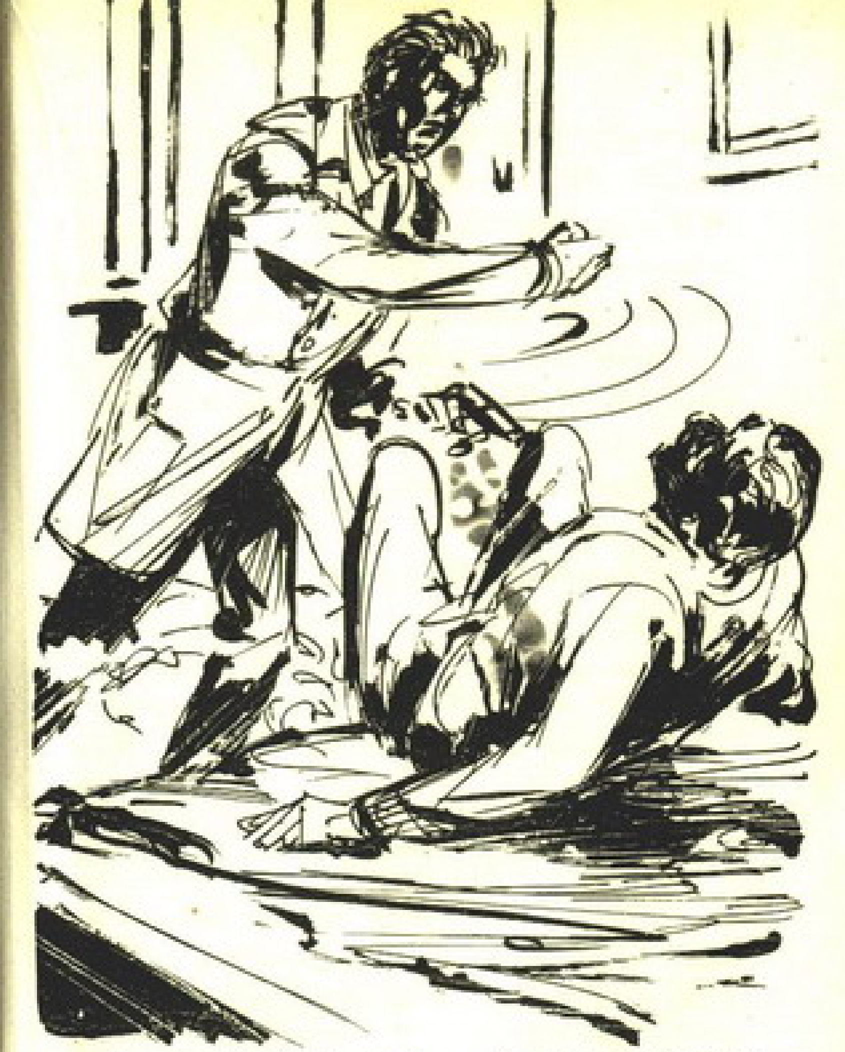
ـ اللعنة !.. لقد كسرت أنفى .

قال (أدهم) فى هدوء ، وهو يدير جهاز التسجيل :

ـ أنت تستحق ما هو أكثر من هذا .

ارتفع الصوت المسجّل من الجهاز ، ليعيد كل الحوار ، الذى دار بين (ماركو) و (جولهى) بما فيه اتصال (ماركو) بـ (جروهى) ، فهتف (ماركو) :

ـ اللعنة عليك .. من أنت بالضبط ؟



وانقضّ بحركة غريزية على (أدهم) ، الذى استقبله بلكمة كالقنبلة ، حطمت أنفه ، وألقته على فراشه فى عنف ..

أجابه (أدهم) ساخرا :

ـ أنا الرجل الذى حصل على ما يريد منك .. لقد أفقدت ذلك الوغد الآخر وعيه ، وانتحلت شخصيته ، ودسست جهاز التسجيل هذا فى جيبه ، وأنا أعلم أنه سيهرع إليك ، فور استعادته وعيه .. وكان من الطبيعى أن تجرى أنت اتصالك بالحلقة التالية من السلسلة ، وأن يسجل جهازى كلمات السر ووسيلة الاتصال ، وبعدها أثرت توترك ، عندما تحدثت إليك بصوت (جولهى) ، وأوهمتك أنه زائف .

ضرب (ماركو) جبهته براحته فى غيظ ، وهو يقول :

ـ لقد خدعنى هذا تماما .. أنفه المحطم ، ووجهه المصاب ، وإصراره على الاتصال بـ (فاف) .. كل هذا خدعنى ، ودفعنى إلى ... إلى ...

قال (أدهم) فى اهتمام :

ـ (فاف) هذا هو ذلك الوغد (إليعازر) .. أليس كذلك ؟

انتبه (ماركو) إلى ما يقول ، فأشاح بوجهه ، ولوّح بكفه فى حدة ، قائلا :

ـ لا شأن لك بهذا .

سأله (أدهم) فى اهتمام ، متجاهلا اعتراضاته :

ـ كم حلقة أخرى ينبغى المرور بها ، قبل الوصول إلى (إليعازر) ؟

قال (ماركو) فى حدة :

ـ لن تحصل منى على حرف واحد .

جذبه (أدهم) إليه ، وضمّ قبضته ، قائلا :

- هل تراهن ؟

ثم توقفت قبضته فجأة فى الهواء ، والتقى حاجباه ، وهو يقول :

- من (بيت) إلى (جيمل) .. نعم .. لقد فهمت .

ودفع (ماركو) مرة أخرى إلى الفراش ، وهو يستطرد :

- إنكم تستخدمون الأبجدية العبرية البسيطة .. (ألف) ، (بيت) ، (جيمل) ، (دالت) ، (هى) ، (فاف) .... إلخ ..(*) .. وتبعًا لتسلسل العمل ، فـ (جولهى) هو أول السلسلة ، ويحمل حرف (ألف) ، وتليه أنت (بيت) ، ثم (جروهى) (جيمل) ، وهكذا ..

بدا التوتر على وجه (ماركو) ، وهو يقول فى عصبية :

- لن يوصلك هذا إلى شىء .

ولكن (أدهم) تابع فى اهتمام :

- هذا التتابع يعنى أنه مايزال هناك (دالت) و (هى) ، قبل الوصول إلى (فاف) .. لقد اقتربنا من الهدف .

ثم عاد يجذب (ماركو) إليه فى صرامة ، ويسأله :

- ما الحلقة التالية بعد (جروهى) ؟.. من هو (دالت) ؟

هتف (ماركو) :

- اذهب إلى الجحيم .

وهوت لكمة (أدهم) على فم (ماركو) ، وانتزعت ثلاثة من أسنانه الأمامية ، فصرخ فى ألم :

- ماذا تفعل بى ؟.. إنك ..

(*) الأبجدية العبرية تسير على النسق الأبجدى العربى القديم (أبجد هوز) ، ولكنها تنطق بالعبرية .

أخرسه (أدهم) بلكمة ثانية ، انتزعت سن رابع ، وأغرقت فم (ماركو) بالدماء الحارة ، فراح يسعل هاتفًا :

- ماذا تفعل ؟

سأله (أدهم) فى صرامة :

- ما الحلقة التالية ؟

ورفع قبضته للمرة الثالثة ، فرفع (ماركو) ذراعيه ليحمى وجهه ، وهو يهتف :

- لست أدرى .. أقسم لك .. لا أحد يعلم ما الحلقة التالية له .. (جروهى) وحده يعرف من يليه .. أقسم لك .

اعتدل (أدهم) ، وزوى ما بين حاجبيه فى توتر ..

لقد نقل (ماركو) الرسالة إلى (جروهى) ، وسينقلها (جروهى) بدوره إلى (دالت) ، وبعده (هى) ، ثم تصل إلى (إليعازر) ، لتنبهه إلى أن المصريين خلف العملية ..

وفى أعماقه هتف هاتف مخيف ..

ماذا فعلت يا (أدهم) ؟.. هل أصلحت الأمر أم أفسدته ؟.. ماذا فعلت ؟..

* * *

فرك (إليعازر) عينيه ، وهو يقاوم رغبته فى النعاس ، واسترخى فى مقعده ، سائلًا أحد رجاله :

- لماذا اتصل (سيجال) من السفارة المصرية ؟.. ألا يسير كل شىء على ما يرام ؟

أجابه الرجل :

إنه يطلب حذاء أسود جديد .

التقى حاجبا (إليعازر) فى شدة ، وهو يعتدل قائلا :

ـ ماذا ؟!.. كرر ما قلت .

كرر الرجل قوله ، واستمع إليه (إليعازر) ، وحاجباه يزدادان انعقادا ، ثم قال فى توتر :

ـ من المؤكد أن كتاب الشفرة لايحوى هذه العبارة .. إننى أحفظها عن ظهر قلب .

قال الرجل :

ـ إنها ليست عبارة شفرية ياسيدى .. إنه مطلب عادى ، فقد اتصل (سيجال) من السفارة ، بصفته الملحق الصحفى (إبراهيم فؤاد) ، وتظاهر بأن يتحدث إلى أحد صناع الأحذية ، وقال إن أحذيته تؤلم قدمه ، وأنه يحتاج إلى حذاء أسود جديد .

ظل حاجبا (إليعازر) معقودين بضع لحظات ، ثم هتف فجأة :

ـ اللعنة !.. كيف لم ينتبه خبراؤنا لهذا .

تطلع إليه الرجل فى تساؤل وفضول ، وهو يتابع :

ـ لقد جعلوا من (سيجال) نسخة طبق الأصل من (إبراهيم فؤاد) ، ولكن من المستحيل أن يجعلوا قدمه أصغر حجما ، لتناسبها أحذية الملحق الصحفى .

ولوح بكفه فى سخط ، مستطردا :

ـ أرسلوا إليه الحذاء الذى يطلبه ، فى حقيبة تحمل اسم واحد من كبار صانعى الأحذية الإيطالية ، ولاتنسوا تغيير الرقم الدال على المقاس .

استعد الرجل لمغادرة المكان ، وتنفيذ الأمر ، فتابع (إليعازر) فى حدة :

ـ وأخبر الجميع أننى أحتاج إلى النوم ، ولا ينبغى لأحدهم إيقاظى ، إلا فى الحالات البالغة الخطورة .

كان الرجل قد فتح الباب بالفعل ، و (إليعازر) يتم عبارته ، فوجئ بـ (بين) يدفعه ، وهو يدلف إلى الحجرة ، قائلا :

ـ معذرة ياسيدى .. موقفى ينطبق تماما على هذا ..

بدت العصبية فى صوت (إليعازر) ، وهو يقول :

ـ ماذا لديك ؟

أجابه (بين) فى قلق واضح :

ـ وصلت رسالة الآن من (ألف) ، تقول : إن المصريون خلف العملية .

سأله (إليعازر) فى توتر :

ـ أية عملية ؟

هز (بين) كتفيه ، وقال :

ـ المفروض أنها هذه العملية ..

التقى حاجبا (إليعازر) فى شدة ، وهو يقول :

ـ أية رسالة هذه ؟.. لقد كشفنا لعبة المصريين ، ونعلم منذ البداية أنهم خلف العملية ، فما الذى يدعو (ألف) إلى إرسال رسالة سخيفة كهذه .

لم يجب (بين) ، وإنما انتظر الجواب فى اهتمام ، على شفتى رئيسه ، الذى غرق طويلا فى تفكير عميق ، قبل أن يقول فجأة :

ـ هناك أمر غير طبيعى يا (بين) .. من الواضح أن (جولهى) لم يرسل هذه الرسالة بإرادته .. هناك من دفعه إلى إرسالها .

ثم رفع عينيه إلى (بين) ، واستطرد فى حزم :

ـ ابحث عن (جولهى) ، وتتبّع السلسلة جيدًا ، ولو شعرت بأدنى شك أو قلق ، انتقل إلى الخطوة الاحتياطية ، وقم بإنشاء سلسلة جديدة .

وأطلّت من عينيه نظرة شرسة صارمة ، وهو يتابع :

ـ لن نمنح المصريين فرصة واحدة لإعاقة خطتهم .. لن نمنحهم هذه الفرصة أبدًا .

وأشعل سيجارته . وقد فقد رغبته فى النوم ..

فقدها تمامًا .





٨ ـ حلقة بحلقة ..

ارتفع رنين الهاتف ، فى المتجر الصغير ، الذى يملكه (جروهى) ، ثم توقف بغتة ، وعاد يرتفع لحظة ، قبل أن يصمت للمرة الثانية ، فلوّح (جروهى) بكفه ، وقال للزبون الواقف أمامه فى سخط :

ـ لن ينصلح هذا الهاتف اللعين أبدًا .

أراد الزبون أن يدخل معه فى نقاش ، حول شركة الهاتف ، وسخافة تعاملاتها مع المشتركين ، ولكن (جروهى) بتر النقاش فى سرعة ، واندفع إلى حجرة جانبية ، وهو يقول :

ـ هذا ما يحدث للجميع .

ولم يكد يغلق باب الحجرة خلفه ، حتى أسرع إلى خزانته ، وفتحها ، والتقط منها جهاز اللاسلكى ، فقد كان رنين الهاتف يعنى أن الجهاز قد التقط رسالة لاسلكية من (ماركو) ، ونقلها إلى خلية صغيرة ، تصنع هذا الرنين المتقطّع بالهاتف ، وتنبّه (جروهى) إلى وصولها ..

وفتح (جروهى) خط الاتصال ، ليسمع صوت (ماركو) واضحًا ، وهو يقول :

ـ من (بيت) إلى (جيمل) .. أجب .

أجابه (جروهى) :

ـ من (جيمل) إلى (بيت) .. ماذا لديك هذه المرة ؟

قال الصوت :

ـ رسالة عاجلة ، ينبغى أن تصل إلى (قاف) بأسرع ما يمكن .. لقد توصل المصريون إلى (ألف) ، وقاموا بتصفيته .

هتف (جروهى) :

ـ يا للشيطان !.. سأرسل الرسالة بأسرع ما يمكن .

وأعاد اللاسلكى إلى خزانته ، وهرع إلى المتجر ، ونادى أحد الصبية الصغار ، الذين يعملون لديه ، وقال وهو يناوله ورقة صغيرة ، مكتوبة بالشفرة :

ـ اذهب على الفور إلى مطعم (دافيد) ، وسلمه هذه الرسالة ، وقل له : إنها وصفة لطعام جديد ، لابد من طهيه على الفور .

أسرع الصبى يستقل دراجته ، وانطلق بها إلى المطعم القريب ، دون أن ينتبه إلى تلك السيارة الرياضية الصغيرة ، التى تتبعه فى اهتمام ، والتى يقودها (أدهم صبرى) ، الذى ألقى اللاسلكى ، الذى اتصل بواسطته بـ (جروهى) ، فى أرضية السيارة ، وهو يقول :

ـ من حسن الحظ أن الوغد الآخر لم يبدل موجة الإرسال ، بعد أن أبلغ الرسالة السابقة .

تبع الصبى عبر شارعين قريبين ، حتى توقف عند مطعم صغير ، يحمل إسم (نجمة دافيد) ، ورأى الصبى يهرع إلى المطعم ، ويسلم الرسالة إلى شاب متين البنيان ، غليظ الملامح ، ثم يعود إلى دراجته ، وينصرف على الفور ..

ورأى (أدهم) الشاب يفتح الرسالة ، ويقرؤها فى اهتمام ، ثم يعقد حاجبيه الغليظين ، ويلتقط سماعة الهاتف ، وينتحى جانبًا ، ثم يتحدث فى اهتمام بالغ ، فابتسم فى ارتياح ، وقال :

ـ إذن فهذا هو (دالت) .

ولكن انعقاد حاجبى الشاب ازداد فجأة ، وأغلق سماعة الهاتف بحركة عنيفة ، ثم رفع رأسه ، وتطلع مباشرة إلى الطريق ، عبر واجهة المتجر الزجاجية ، وخيل لـ (أدهم) أنه يتطلع إليه بالذات ، فغمغم :

ـ يبدو أن الضباب يهبط إلى الطريق .

كان من الواضح أن الشاب قد تلقى تحذيرًا ما عبر الهاتف ، بعد أن كشف بعضهم ما أصاب (جولهى) و (ماركو) ، وأدرك أن المحادثة زائفة ، فقد تراجع الشاب إلى داخل المتجر ، وعاد بصحبة ثلاثة من العمالقة الأشداء ، وأشار نحو سيارة (أدهم) ، الذى قال ساخرًا :

ـ ها هو ذا يطلق كلابه خلفى .

ثم أدار محرك سيارته ، مستطردًا :

ـ ولكننى لا أرغب فى نزع أسنانهم الآن .. لدى ما هو أكثر أهمية .

وانطلق بالسيارة مبتعدًا ..

ومعلنًا انتهاء هذا الشوط ..

بلا أهداف ..

* * *

سرى توتر بالغ فى أعماق (اليعازر) ، وهو يستمع إلى (بين) ، الذى يقول فى توتر مماثل :

ـ من المؤكد أننا لا نواجه شخصًا أو أشخاصًا عاديين ، أو حتى رجال مخابرات ، يعملون وفقًا للقواعد المتعارف عليها فى

عالمنا .. الأمر يبدو كما لو أننا نواجه فريقًا من المحترفين ، ذوى القدرات الفائقة ، والذين يعملون بروح الهواة ، وحماس الشباب .. الواقع أننى أشعر بالقلق يا سيِّدى .

صاح (إليعازر) فى حنق ، وهو يلوِّح بذراعه كلها :

ـ هراء .. مهما بلغت قوة فريق المحترفين المزعومة هذا ، فلن يفوق أبدًا قدرات جهاز مخابراتنا كله .

واعتدل بحركة عنيفة ، مستطردًا :

ـ أوقف خط الاتصالات السرى كله ، واستبدله بحلقة اتصال أخرى ، من خمس نقاط ، تكون أنت سادسها ، ويكون اتصالك بى شخصيًا .. سننتزع نقطة التفوق من منافسينا ، بعد أن بلغوا الحلقة الرابعة من دائرة اتصالاتنا ، وسنسعى فى الوقت ذاته لكشف أمرهم ، والإيقاع بهم ، مهما كان الثمن .

وضرب سطح مكتبه بقبضته فى غضب ، وهو يردف :

ـ لقد أصبح نجاح عمليتنا الكبرى قاب قوسين أو أدنى ، ولن أسمح لأية قوة فى الأرض بإفساده .. هل تفهمنى ؟ .. لن أسمح بهذا قط ..

قال (بين) فى اضطراب واضح :

ـ ولكننا نجهل كل شىء عن خصومنا تقريبًا يا سيِّدى .. لقد هاجموا (ماركو) ، وتسبَّبوا فى مصرع (جولهى) ، واستولوا على جهاز الاتصال اللاسلكى ، والآن كشفوا أمر (دافيد) ، وربما يتوصَّلون إلىَّ غدًا .

قال (إليعازر) فى توتر :

ـ لن يمكنهم التوصل إليك ، إلا عن طريق (دافيد) .. وهذا يعنى ضرورة اختفاء (دافيد) من الساحة .

سأله (بين) فى حذر :

ـ هل نتخلص منه ؟.. أعنى هل نرسل أحد قتلتنا المحترفين ، و ...

هزَّ (إليعازر) رأسه نفيًا فى عنف ، وقال :

ـ كلا .. يكفى أن يغادر (روما) لثلاثة أيام ، حتى تنتهى العملية ، وعندئذ لاتكون له أية أهمية .

وصمت لحظات مفكرًا ، ثم أضاف :

ـ أرسل ثلاثة من أقوى رجالنا إلى (دافيد) ، للقيام بحراسته ، حتى يحزم أمتعته ، ويغلق مطعمه لأى سبب أو عذر ينتحله ، ثم ينقلونه إلى المطار مباشرة ، حيث يستقل الطائرة إلى (تل أبيب) مباشرة ، ولا يعود إلا بعد أسبوع كامل .

ابتسم (بين) فى ارتياح ، وقال :

ـ فكرة عظيمة يا سيِّدى ..

وانطلق على الفور لتنفيذ الأمر ..

* * *

انتهى سفير (مصر) فى (روما) من توقيع بعض الأوراق ، ثم سأل مدير مكتبه فى اهتمام :

ـ أين (إبراهيم فؤاد) .. لم أره منذ الصباح .

أجابه مدير مكتبه :

ـ يقولون : إنه مريض بنوبة برد ، ويلازم فراشه يا سيِّدى .

هتف السفير فى جزع :

ـ مريض ؟!.. لماذا لم يخبرنى أحدكم منذ الصباح ؟

وهبّ من مقعده ، مستطردًا :

ـ سأذهب لزيارته على الفور .

غادر مبنى السفارة ، وقطع الحديقة الكبيرة فى خطوات سريعة ، حتى بلغ مبنى إقامة العاملين بالسفارة ، وصعد إلى منزل الملحق الصحفى ، وطرق بابه فى رفق ، وانتظر حتى سمع صوته يقول :

ـ ادخل يا من تطرق الباب .

دفع السفير باب المنزل ، وابتسم مشفقًا ، وهو يتطلّع إلى (سيجال) ، الذى اندسّ فى فراش الملحق الصحفى ، وتظاهر بالمرض والإعياء ، وهو يقول :

ـ تفضل يا سيادة السفير .. معذرة لعدم قدرتى على فتح الباب بنفسى .

جلس السفير على المقعد المجاور للفراش ، وهو يقول :

ـ لا عليك .. المهم أن تشفى بإذن الله ، قبل موعد طائرة (فيينا) مساء الغد ، فالمفروض أن تكون فى (النمسا) غدًا مساءً ، حتى تلتقى صباح بعد غد بـ ...

قاطعه (سيجال) بسعال متصل ، قبل أن يقول :

ـ إنها نوبة طارئة فحسب .. سأشفى بإذن الله ، وألحق بموعد الطائرة .

أدار السفير عينيه فى إشفاق ، فى المكان الذى يفتقر إلى الترتيب ، وتطلّع إلى ثياب الملحق ، الملقاة فى إهمال على مقعد

قريب ، وأحذيته التى اختلطت ببعضها البعض ، فيما عدا الحذاء الأسود الجديد ، وقال :

ـ ألم تقرّر الزواج بعد ؟

ابتسم (سيجال) ، وهو يقول متظاهرًا بالمرض :

ـ إننى أعشق الحرية .

ضحك السفير قائلًا :

ـ والفوضى .

ثم نهض مستطردًا :

ـ حسنًا .. سأرسل إليك بعض عمال السفارة ؛ لرعايتك ، وتنظيف منزلك ، وأتمنى لك الشفاء السريع .

تمتم (سيجال) بصوت بدا متحشرجًا :

ـ أشكرك يا سيادة السفير .. أشكرك كثيرًا .

وعندما غادر السفير المكان ، كان (سيجال) يبتسم ابتسامة واسعة ، واثقة ، وقد اطمأن إلى نجاح تنكره ، وإلى أن الخطة تسير فى طريقها المرسوم .

وبنجاح تام ..

* * *

التقى حاجبا (دافيد) الكثين ، وهو يتطلّع فى حذر إلى الرجل الواقف أمامه ، الذى حدجه بدوره بنظرة صارمة ، قبل أن يقول فى خشونة :

ـ أنت (دالت) .. أليس كذلك ؟



غادرا المطعم فى صمت ، واتجها إلى سيارة الرجل ، التى تقف عند الرصيف المقابل ، فى نفس اللحظة التى ظهرت فيها سيارة ثانية ..

ارتبك (دافيد) ، وألقى نظرة سريعة على روّاد المطعم ، قبل أن يهمس فى عصبية :

ـ اخفض صوتك يا رجل .. لا أحد هنا يعرفنى بهذا الاسم .

لم يلق الرجل بالاً لهذا الاعتراض ، وهو يقول :

ـ احزم حقيبتك واتبعنى .

سأله (دافيد) فى توتر :

ـ إلى أين ؟

أجابه الرجل فى صرامة :

ـ لاتسأل .. إنها الأوامر .

وعلى الرغم من ملامحه الغليظة ، وجسده الضخم ، ارتجف (دافيد) كطفل صغير ، ارتكب خطأ كبيرًا ، وينتظر عقابًا رادعًا ، وهو يهمس :

ـ ولكن لماذا ؟.. إننى لم أفعل شيئًا .

قال الرجل فى صرامة :

ـ قلت هيّا .

اختلس (دافيد) النظر إلى مطعمه ، واتجه فى استسلام إلى حجرته الجانبية ، حيث حزم حقائبه ، وارتدى ثيابًا أخرى بخلاف ثياب العمل ، وعاد إلى الرجل ، الذى قال فى برود هذه المرة :

ـ اتبعنى .

غادرا المطعم فى صمت ، واتجها إلى سيارة الرجل ، التى تقف عند الرصيف المقابل ، فى نفس اللحظة التى ظهرت فيها سيارة ثانية ، عند ناصية الطريق ، فقال الرجل فى حزم :

- اسرع واختفى فى السيارة .. ربما أتوا من أجلك .

اختفى (دافيد) داخل السيارة فى سرعة ، وتطلّع فى قلق إلى الرجال الثلاثة ، الذين قفزوا من السيارة ، واندفعوا إلى المطعم ، فى حين أدار الرجل الذى يصطحبه محرّك السيارة ، وانطلق بها مبتعدًا ، فسأله (دافيد) فى قلق :

- من هؤلاء الذين يبحثون عنى ؟

قال الرجل فى هدوء :

- ألا تعرفهم ؟

هزّ (دافيد) رأسه نفيًا ، وقال :

- كلا بالطبع .. أمن المفروض أن أفعل .

لم يجب الرجل مباشرة ، إذ كان يتطلّع إلى مرآة السيارة ، التى تنقل صورة الرجال الثلاثة ، الذين اندفعوا مرة أخرى خارج المطعم ، وأشار إليهم صبى على السيارة ، التى تبتعد وبداخلها (دافيد) ، فقفزوا إلى سيارتهم ، وانطلقوا خلفها فى سرعة ..

وكرّر (دافيد) فى توتر :

- أمن المفروض أن أعرف هؤلاء ؟

أجابه الرجل فى لهجة ساخرة :

- بالطبع .. أنت وهم تلعبون فى فريق واحد .

تراجع (دافيد) فى حركة عنيفة ، وهتف :

- ماذا ؟ .. ماذا تعنى ؟

ولكن الرجل أخرج من جيبه فجأة بخاخة صغيرة ، ودفع الرذاذ المخدّر منها فى وجه (دافيد) ، الذى سعل وصاح :

- اللعنة !.. أنت لست أحد رجالنا .

أجابه الرجل ، الذى لم يكن سوى (أدهم صبرى) فى سخرية :

- بالطبع أيها الحقير .. لم أكن أبدًا أحد فريق الأوغاد .

قاوم (دافيد) ، وأراد أن يهاجم (أدهم) فى وحشية ، إلا أن المخدّر أحاط رأسه بضباب كثيف ، تزايدت كثافته فى سرعة ، واكتنفه الظلام ، و ....

وسقط الرجل فاقد الوعى ..

وفى اللحظة التالية ، كان (أدهم) يزيد من سرعة سيارته ، قائلاً فى لهجة شديدة التهكّم :

- والآن أيها السادة ، أرونى مهارتكم فى القيادة .

وبضغطة إضافية على دوّاسة الوقود ، زادت سرعة السيارة على نحو مباغت ، واندفعت فجأة على الطريق ..

وزاد الرجال الثلاثة من سرعة سيارتهم أيضًا ، وانطلقوا خلف سيارة (أدهم) ، فى مطاردة عنيفة ، عبر شوارع العاصمة نصف المزدحمة ، فى هذا الوقت من اليوم ..

وانحرف (أدهم) فجأة ، فى طريق جانبى ، وقفز بالسيارة فوق إفريز ضيق ، ثم تجاوز الطريق الجانبى إلى طريق رئيسى آخر ، وتبعته سيارة الرجال الثلاثة بنفس المهارة ، فابتسم قائلاً :

- حسنًا .. تجاوزتم الاختبار الأوّل بنجاح .

ثم زاد من سرعة السيارة مرّة أخرى ، واندفع نحو أحد الكبارى القريبة ، التى تعبر مجرى مائيًا كبيرًا ، وتبعته السيارة الأخرى بدورها ..

وفجأة لمح (أدهم) إشارة تقول : إن الكوبرى يتم رفعه الآن ، لتعبر بعض الناقلات الكبيرة ..

وكان من المحتمل أن يتوقف (أدهم) ..

ولكنه لم يفعل ..

لقد واصل انطلاقه واندفاعه عبر الكوبرى ، فصاح قائد سيارة الرجال الثلاثة فى دهشة :

ـ ما الذى يفعله هذا المجنون ؟

ثم ضغط دوّاسة الفرامل فى قوة ، وأطلقت إطارات سيارته صريرًا مخيفًا ، وهى تميل إلى اليسار ، وتحتك بالأرض فى قوة ، وتتوقف على قيد خطوة واحدة من مدخل الكوبرى ..

ولم يفعل (أدهم) المثل ..

كان الكوبرى يرتفع من منتصفه أمام عينيه ، ونصفاه يبتعدان عن بعضهما البعض فى بطء ، ولكنه زاد من ضغط قدمه على دوّاسة الوقود ..

وصرخ رجال أمن الكوبرى ..

والمارة ..

وركاب الناقلة الكبيرة ..

وكل من شاهد ما يحدث ..

وهوت قلوب البعض بين أقدامهم ..

وخفقت قلوب البعض الآخر ..

وواصل (أدهم) انطلاقه ..

ثم بلغ نهاية الارتفاع ..

وارتفعت السيارة كالصاروخ ، لتسبح فى الهواء لحظات ، ثم ..

ثم بدأت رحلة الهبوط ..

وفى هذه المرة كان انفعال الجميع أقوى وأشد ..

لقد بدا من الواضح أن السيارة لن تبلغ النصف الثانى من الكوبرى أبدًا ..

وتوقع الجميع رؤية الارتطام ..

والانفجار ..

والنهاية ..

* * *



٩ ـ السقوط ..

« صباح الخير يا (قدرى) .. »

انتفض (قدرى) انتفاضة عنيفة ، مع تلك العبارة المباغتة ، التى اقتحمت استغراقه دون إنذار مسبق ، ووثبت الشطيرة التى كان يلتهمها ، من بين أصابعه ، وكادت تسقط أرضا ، لولا أن التقطتها أصابع أنثوية رقيقة فى مهارة ، ثم أطلقت صاحبة الأصابع ضحكة مرحة ، قبل أن تقول ، وهى تعيد شطيرته :

ـ هل أفزعتك ؟!

ارتبك وهو يجيب :

ـ إلى حد ما .. كنت مستغرقا فى القراءة .

ثم أضاف بعصبيّة :

ـ ثم أنك وصلت فى أكثر اللحظات إثارة يا (منى) .

ابتسمت (منى توفيق) ، وهى تجلس على المقعد المواجه له ، وقالت :

ـ أراهن أن هذا أحد ملفات (أدهم) القديمة .

أومأ برأسه إيجابا ، وقال :

ـ والممتعة .

تنهدت وهى تلقى نظرة على الإسم الشفرى ، المدوّن على الملف ، قبل أن تغمغم :

ـ كل أعمال (أدهم) ممتعة .. إنه رجل نادر بحق .

ابتسم (قدرى) ، وقال فى خبث :

ـ حقًا ؟

تخضّب وجهها خجلا ، وهى تقول :

ـ أهناك من يمكنه إنكار هذا ؟

ثم استدركت فى سرعة :

ـ ولكن ما تلك النقطة المثيرة ، التى وصلت إليها قبل دخولى .

اعتدل وهو يقول فى حماس :

ـ هذا يحتاج إلى معرفة القصة منذ البداية .. لقد كان هذا فى نهاية النصف الأوّل من السبعينات ، بعد انتصار أكتوبر ، و ...

قاطعته فى رقة :

ـ لقد قرأت هذا الملف قبلك .

هتف :

ـ حقًا ؟!

ثم سألها فى لهفة :

ـ هل تحبين قراءته مرة أخرى ؟

ابتسمت قائلة :

ـ لن أمل قراءة ملفات (أدهم صبرى) أبدا .

واعتدلت مستطردة فى اهتمام :

ـ ولكن لا داعى للعودة إلى البداية .. فقط اقرأ بصوت مسموع ، من اللحظة التى توقفت عندها .. هل يضايقك هذا ؟

قال فى حماس :

ـ مطلقًا .

والتهم قضمة كبيرة من الشطيرة ، ثم عاد يقرأ ..

* * *

كان المشهد خرافيًا مبهرًا بحق ..

لقد اندفعت السيارة عبر الكوبرى ، ثم تجاوزته بقفزة مدهشة ، جعلتها أشبه بصاروخ صغير ، ينطلق من فوق قاعدته ، ويمتزج بالظلام لحظات ، وهو يشق طريقه فى الهواء ، كما لو كان جزءًا من مشهد سينمائى مثير ، يعرض بالحركة البطيئة ..

واحتبست أنفاس الجميع ..

رجال الكوبرى ..

والمارة ..

وأصحاب السيارات ..

وحتى الرجال الثلاثة ، الذين كانوا يطاردون السيارة ..

ولثوان ، بدا للجميع وكأن السيارة لن تنجح فى بلوغ النصف الثانى من الكوبرى أبدًا ..

وخاصة عندما بدأت رحلة الهبوط ..

ولكن يبدو أنه حتى الآلات تستسلم وتستجيب لإرادة من يديرها ..

لقد اندفعت السيارة اندفاعة أخيرة ، كما لو أن يدًا خفية قد دفعتها ، ثم هبطت فى عنف ، على طرف النصف الثانى من الكوبرى ، ولم تكد إطاراتها ترتطم بالأرض حتى وثبت وثبة قصيرة ، ثم ضغط (أدهم) دواسة الوقود ، وهو يهتف :

ـ هيا أيتها البطلة .. لقد لعبت دورك بكل نجاح .

وانطلقت السيارة مبتعدة ، أمام العيون الذاهلة ..

ولم يفق رجال (اليعازر) من المفاجأة ، قبل نصف دقيقة كاملة ، فاختطف أحدهم جهاز اللاسلكى ، وقال فى انفعال :

ـ من (شنايم) إلى (شيشة) .. لقد هرب الصيد .. أكرر ..

كرر رسالته ثلاث مرات ، ثم توقف وعاد يتطلع مبهورا إلى الكوبرى ، ويردد فى خفوت يموج بالانفعال :

ـ يا للشيطان !.. كيف فعلها ؟.. كيف ؟

ولم يجد جوابا ..

* * *

نفث (اليعازر) دخان سيجارته فى عصبية مفرطة ، وهو يصرخ فى وجه (بين) بغضب :

ـ ماذا أصابكم جميعًا ؟.. كيف صرتم بهذا التخاذل السخيف ؟.. لقد سمحتم لبعض المحترفين بخداعكم ، واقتناص رجالكم .. أتدرك مدى الخطورة التى سنتعرض لها ، لأنهم اختطفوا (دافيد) ؟

أجابه (بين) فى توتر بالغ :

ـ (دافيد) لا يعرف سواى ، وهذا يعنى أنه لو أدلى بما لديه ، سأصبح أنا الهدف التالى .

قال (اليعازر) فى حدة :

ـ ومن سيسمح بهذا ؟ سأقتلك لو اقتضى الأمر ، ولكننى لن أسمح لهم بالتوصل إليك .

ارتجف (بين) ، وهو يحدق فى وجهه بدهشة ، ثم قال وقد تضاعف توتره ، حتى كاد يبلغ الذروة :

ـ سيدى .. أنت تحتاج إلى النوم ، وإلا ..

صرخ (اليعازر) فى وجهه :

ـ لا تقل هذا ، سأقطع لسانك لو فعلت .. هل تتصور أننى فقدت

القدرة على التركيز وعلى اتخاذ القرار، لمجرّد أنني حرمت من النوم ليوم أو ما يزيد ؟.. كلّا .. لن أسمح لك بمجرّد التصوّر .

قال (بين)، محاولا تهدئة عصبيّته :

ـ ولكنك تشعل سيجارتك يا سيّدى .

صرخ مرة أخرى :

ـ وماذا فى هذا ؟

أشار (بين) إلى منفضة السجائر، وهو يقول فى خفوت :

ـ هناك أخرى مشتعلة، لم تلتقط منها سوى نفس واحد .

حدّق (اليعازر) فى منفضة السجائر، والسيجارة المشتعلة بها، ثم رفع عينيه إلى (بين)، وقال :

ـ يبدو أنك على حق .

ونهض من خلف مكتبه، واتجه إلى حجرته الملحقة بها، وهو يضيف :

ـ فليوقظنى أحدكم، بعد ست ساعات .

وأغلق باب الحجرة خلفه فى حدّة ..

★ ★ ★

استعاد (دافيد) وعيه فى بطء، وتراقص جفناه فى عصبيّة، وهو يقول بصوت مختنق غليظ :

ـ أين أنا ؟.. ماذا حدث ؟

أتاه صوت ساخر، يقول بالعبرية :

ـ أنت هنا أيها الوغد .. مرحبًا بأمثالك فى الجحيم .

انتفض (دافيد)، وفتح عينيه عن آخرهما، وهو يهتف :

ـ الجحيم ؟!..

طالعت عيناه وجه (أدهم) وابتسامته الساخرة، وتفاصيل ذلك الكوخ الخشبى البسيط الأثاث، الذى يحيط بهما، فهتف فى حدّة :

ـ أيها الحقير .. هل ..

انتبه فى هذه اللحظة فقط إلى أنه مقيّد إلى مقعد بثوطى ثقيل، فبتر عبارته، ليهتف ساخطًا :

ـ ماذا فعلت بى ؟

جلس (أدهم) على المقعد المقابل له، ووضع إحدى ساقيه فوق الأخرى، وهو يقول فى هدوء :

ـ إنها بطاقة تعارف فحسب يا رجل .. أنا الرجل الذى يبحث عن الأسرار، وأنت الوغد الذى سيدلى بكل ما لديه .. هذه هى مسرحيتنا .. (البحث عن الحقيقة) .

احتقن وجه (دافيد)، وهو يقبض عضلات صدره وذراعيه، ويحاول التخلص من قيوده فى غضب، قائلًا :

ـ خطأ .. المسرحية التى سنقوم بتمثيلها هى (القاتل والمقتول) .. وسألعب أنا دور القاتل .

ابتسم (أدهم) فى سخرية، وقال :

ـ هذا يحتاج إلى بعض المهارات، فى عالم المسرح يا رجل .. مثل التخلّص من القيود، والقتال، وغيرها ..

صرخ (دافيد) :

- أنا الرجل المناسب إذن .

هزّ (أدهم) كتفيه فى استهتار ، وقال :

- فليكن .. ولكن بعد أن تخبرنى باسم وعنوان (هى)(*) ، وبكيفية اتصالك به .

صاح (دافيد) ، وهو يحاول التخلّص من قيوده :

- لن تحصل منى على حرف واحد .

مطّ (أدهم) شفتيه ، وقال :

- يا للخسارة !.. فى هذه الحالة ستضطرنى للانتقال إلى المرحلة الثانية .

ثم دفع بقدمه حلقة معدنية ، تبرز من الأرض ، فتحرّكت مع جزء خشبى ، لتكشف عن فجوة مربعة ، طول ضلعها متر كامل ، تؤدى إلى بركة مائية عميقة ، وتابع (أدهم) فى بساطة :

- لن يكون أمامى حينئذ سوى إضافة ثقل معدنى خاص إلى قدميك ، ودفعك إلى هذه البركة الطريفة ، لتنعم بقبر مائى رطب .

صرخ (دافيد) ، وقد احتقن وجهه فى شدة ، مع محاولاته المستمرة للتخلص من قيوده :

- لن تخيفنى بهذا .

أخرج (أدهم) مسدسه ، وانعقد حاجباه فى صرامة ، وهو يقول :

- اسمعنى جيدًا أيها الوغد .. إنكم تعدون شيئًا ما ، ضد وطنى وأمتى ، ولو أنك تتصوّر أنه من الممكن أن أمزح أو أتهاون فى هذا

(*) هى : حرف (الهاء) باللغة العبرية .

الشأن ، فأنت واهم .. إننى لن أتردّد لحظة واحدة بتمزيقك إربًا ، لو اقتضى الأمر ، حتى أحصل على ما لديك .. هل تفهم ؟

صاح (دافيد) ووجه يكاد يتفجّر من شدة الاحتقان :

- كلّا .. لم أفهم .

وفجأة ، ودون سابق إنذار ، تمزّقت القيود السميكة ، من حول (دافيد) ، وتحرّكت يده فى عنف تضرب المسدس من يد (أدهم) ، وهو يصرخ :

- لم أفهم أبدًا .

قفز (أدهم) إلى الخلف ، ودفع مقعده جانبًا ، وهو يواجه (دافيد) بقامته الفارهة ، وجسده الضخم ، فى حين انقضّ عليه هذا الأخير كالثور الهائج ، وهو يهتف :

- الآن أنت الذى سيفهم .

وهوى بقبضته الثقيلة على فك (أدهم) ، بكل ما يملك من قوة ، ولكن (أدهم) تفادى الضربة فى مهارة ، ولكم (دافيد) فى معدته لكمة قوية ، جعلت هذا الأخير يطلق شهقة عنيفة ، ويهتف :

- اللعنة !

دار (أدهم) حوله فى خفة ، وهو يقول :

- احترس أيها البرميل الأجوف .. اللعنة ستهبط على مؤخرة عنقك .

ولكن (دافيد) انحنى فى مرونة مدهشة ، على الرغم من ضخامته ، وتفادى ضربة (أدهم) ، ثم استدار يواجهه ، فهوى (أدهم) على فكه بلكمة عنيفة ، أطلق لها (دافيد) خوارا كالثور ، ثم

انقضّ على (أدهم) ، وأحاط جسده بذراعيه فى قوة ، أشبه بكلّابة فولاذية ، وهو يطلق ضحكة جنونية ساخرة ، هاتفًا :

ـ هل أدركت الآن أى دور ستلعب يا فتى ؟

قاوم (أدهم) فى استماتة ، وراح يضربه بقدميه فى عنف ، ولكن الأمر بدا كما لو أنه يضرب حائطًا من الصلب ، فى حين دفع (دافيد) الحلقة المعدنية بقدمه بعيدًا ، وهو يقول فى شراسة :

ـ ستلعب دور الرجل ، الذى لقى مصرعه غرقًا ، فى بركة من الماء الآسن .

ثم ألقى (أدهم) عبر الفجوة إلى البركة ..

وبكل قوته .

* * *



١٠ ـ الأعماق ..

من المؤكد أن (دافيد) لم ينس ما حدث ، حتى آخر يوم فى عمره ..

لم ينس أبدًا ما رآه بعينيه ، وشعر به جسده ، وسمعته أذناه ..

لقد ألقى (أدهم) بكل قوته ، ليغرقه فى البركة ، تحت فجوة الكوخ تمامًا ..

أو أن هذا ما أراده ..

ولكن ما حدث كان يختلف تمامًا ..

فجأة ، وقبل أن يندفع جسد (أدهم) عبر الفجوة ، انثنت ركبتاه ، وارتفعت ساقاه ومال جسده إلى الأمام ، ثم انزلق من بين ذراعى (دافيد) وعبر ما بين ساقيه ، فى مرونة مذهلة ، يفتقر إليها لاعبو الجمباز المحترفون ، ثم هبّ واقفًا على قدميه ، ودار على عقبيه ، وقال فى سخرية :

ـ يبدو أنك مخرج فاشل أيها الأبله .

فعل كل هذا فى ثانية واحدة ، حتى أن (دافيد) تجمّد فى مكانه لحظة ، ثم قرّر أن يستدير لمواجهة خصمه مرّة أخرى ، ولكن قبضة (أدهم) أصابت مؤخرة رأسه ، ودفعته إلى الأمام فى عنف ، قبل أن يدور حول نفسه ، صارخًا :

ـ وأنت ممثل يلعب دوره الأخير .

ولكن (أدهم) وثب عبر الفجوة ، وركله فى وجهه ركلة عنيفة ، ثم

منحه لكمتين متتابعتين قويتين ، تلقاهما الشاب بزمجرة عنيفة ، وسالت الدماء من أنفه ، وهو يهتف :

ـ لن توقفني ضرباتك هذه .

وانقضَّ مرة أخرى على (أدهم) ، إلا أن هذا الأخير تجاوزه بقفزة جانبية رشيقة ، وهوى على مؤخرة عنقه بضربة ساحقة ، وهو يقول :

ـ أتظن هذا حقًّا ؟!

أطلق (دافيد) خوارا عجيبا ، وهو يسقط على وجهه ، إلا أنه لم يفقد وعيه ، وإنما عاد يقف على قدميه ، ويواجه (أدهم) بأنف محطم ، وشفتين داميتين ، وهو يصيح :

ـ نعم .. أظن أنني سأصنع منك وجبة دسمة ، للكلاب التي تطوف بمطعمي .

ووثب نحو (أدهم) ، الذي تراجع خطوة إلى الوراء ، واستجمع قوته كلها في قبضتيه ، ثم انقض على (دافيد) كالصاعقة ، وهو يقول :

ـ تُرى من تقصد بالكلاب ؟.. بنو جنسك أم بنو وطنك ؟!

وفي هذه المرة أطلق قبضتيه في وجه (دافيد) ومعدته ، وصدره ، في ضربات بالغة السرعة والقوة ، وتتابع مذهل متناسق ، حتى لقد شعر العملاق الشرس وكأن صواعق الدنيا كلها قد تجمَّعت ، وهوت على جسده بلا رحمة ، فصرخ :

ـ اللعنة !

ثم تخاذلت قدماه ، وعجزتا عن حمله ، و ...



ولكن (أدهم) وثب عبر الفجوة ، وركله في وجهه ركلة عنيفة ، ثم منحه لكمتين متتابعتين قويتين ..

وسقط فاقد الوعى ..

وفى حرارة ، أطلق (أدهم) من صدره زفرة قوية ، وتمتم :

ـ يا إلهى !.. كأننى أحاول هدم جدار قوى بقلامة أظافر .

وتطلع لحظة إلى (دافيد) الفاقد الوعى ، قبل أن يتمتم :

ـ ولكن هذا الجدار سيكون جواز المرور عبر تلك الحلقة .. الحلقة الجهنمية .

وابتسم فى ثقة ..

وفى حزم ..

* * *

« لقد عاد (دافيد) .. » .

رفع (بين) عينيه فى دهشة محدقًا فى وجه الرجل ، الذى نقل إليه هذا الخبر ، قبل أن يقول فى انفعال :

ـ عاد ؟!.. وكيف عاد ؟!

أجابه الرجل فى سرعة :

ـ عاد فى الثانية والنصف صباحًا إلى منزله ، محطم الأنف ، والكدمات تحيط بعينيه وفمه .. ومن الواضح أن أحدهم عامله بقسوة شديدة ..

قال (بين) فى توتر :

ـ ولكن كيف ؟.. أعنى كيف هرب من مختطفيه ؟!

هزَّ الرجل رأسه ، وقال :

ـ لم نسأله بعد ؛ فلقد رأينا أن نبلغك أولاً ، عسى أن ترغب فى استجوابه بنفسك .

التقى حاجبا (بين) فى تفكير عميق ، وبدا من الواضح أنه متردِّد فى اتخاذ القرار ، ثم لم يلبث أن تطلع إلى ساعته ، وتمتم فى خفوت :

ـ لن أوقظ أدون (إليعازر) قبل ساعتين .. لابد لى من اتخاذ القرار ، وحدى .

صمت لحظات أخرى ، ثم قال فى حسم :

ـ فليكن .. مر الرجال باصطحاب (دافيد) إلى المنزل الآمن رقم (أربعة) ، على أن يتخذوا فى طريقهم إليه مسارًا حلزونيًا ، طبقًا لخطة التعمية والتضليل الأمنية الثالثة ، وعليهم أن يبدلوا سياراتهم أربع مرات عبر الطريق ، وأن يتأكدوا تمامًا فى كل مرة ، من أن أحدًا لا يتبعهم ، أما أنا فسأذهب إلى المنزل رقم (أربعة) فى الرابعة والنصف صباحًا بالتحديد ، وسألتقى به هناك ، وأريد إحاطة المنزل بحراسة مكثفة ، منذ وصولى وحتى انصرافى .. هل تفهم ؟

قال الرجل :

ـ أفهم يا سيِّدى .

وانطلق على الفور لتنفيذ الأمر ، فى حين ترك (بين) توتره يطفو على ملامحه ، وهو يتمتم فى عصبية :

ـ أرجو ألا أكون قد ارتكبت أى خطأ ، وإلا فلن يرحمنى أدون (إليعازر) لن يرحمنى أبدًا ..

* * *

بدا (دافيد) شديد العصبية والتوتر ، وهو ينتقل من سيارة إلى أخرى ، مع طاقم الأمن والحراسة ، وانعقد حاجباه الكثَّان فى غضب ، وهو يقول بصوته الأجش الغليظ محتدًا :

- ماذا أصابكم هذه المرة ؟.. أقول لكم أن لدى معلومات بالغة الأهمية ، فتطوفون بى نصف (روما) ، قبيل الفجر بساعة أو أقل !.. ماذا دهاكم ؟

أجابه أحد الرجال الثلاثة المصاحبين له ، فى صرامة :

- إنها الأوامر .

بدا السخط على وجه (دافيد) ، إلا أنه أطبق شفتيه ، ولاذ بالصمت التام ، والسيارة تقطع شوارع (روما) فى مسارات دائرية عجيبة ، قبل أن تتوقف فى شارع جانبى ، ويقول أحد رجال الأمن فى حزم صارم :

- اهبط .

غادر (دافيد) السيارة ، واصطحبه رجل آخر إلى شقة فى الطابق الثالث ، وأمره بالجلوس فى إحدى حجراتها ، ثم تركه وحده وانصرف ..

وبعد ربع الساعة فحسب ، وصلت سيارة (بين) ، وهبط منها هذا الأخير بصحبة حارسين ، وسأل أحد رجال الأمن :

- هل أتى ؟

أجابه الرجل بإيماءة من رأسه ، وقال :

- إنه ينتظر منذ ربع الساعة .

صعد (بين) إلى شقة الدور الثالث ، ودفع باب الحجرة التى يجلس فيها (دافيد) ، فهبّ الشاب بجسده الضخم ، هاتفًا فى انفعال :

- سيّدى .. هناك أمر بالغ الخطورة يا سيّدى .

أشار إليه (بين) بيده ، وهو يتخذ مقعدا قريبًا ، ويقول فى صرامة :

- اهدأ يا رجل ، وقصّ علىّ الأمر منذ البداية .. من اختطفوك ؟.. وكيف هربت منهم ؟.. وماذا أرادوا منك ؟

اندفع (دافيد) يقول فى انفعال :

- إنه رجل واحد ، ولكنه أشبه بشياطين الجحيم .. لقد أتى فى المساء ، وطلب منى حزم حقائبى ، والانصراف معه من المطعم ، وكان يعرف اسمى الكودى (دالت) ، فأطعت أوامره ، وتبعته ، ولكنه أفقدنى الوعى ، وصحبنى إلى كوخ خشبى ، فى منطقة الصيد ، عند أطراف المدينة ، وهناك تخلصت من قيودى ، وتصارعنا ، وباغتنى هو بضربات غادرة ، ففقدت الوعى مرة أخرى ، واستيقظت لأجد نفسى وحيدًا فى الكوخ ، فهرعت إلى هنا ؛ لأخبركم ما حدث .

قال (بين) فى توتر :

لقد استنتجوا أننا سنحاول إبعادك ، بعد أن كشفوا أمرك ، ونجحوا فى خداعك ، و ...

قاطعه (بين) فى حدة :

- إنه رجل واحد يا سيّدى .. رجل شيطانى واحد .

صاح به (دافيد) فى حدة :

- مستحيل !.. لا تحاول إقناعى أن رجلًا واحدًا يمكنه أن يفعل بنا كل هذا .. لا تحاول أبدًا .. إننا أقوى جهاز مخابرات فى العالم ، ومن المستحيل أن يثير رجل واحد توترنا وغضبنا إلى هذا الحد .. إنها منظمة خاصة .. منظمة من المحترفين .

تراجع (دافيد) ، مغمغمًا :

- بالتأكيد يا سيّدى .. بالتأكيد .

واستدرك في سرعة :

ـ ولكن هذا الرجل .. أعني الرجل الذي ينتمي إلى تلك المنظمة ، هَدَّدني بالقتل ، لو لم أفصح عن تفاصيل خطة تستهدف وطنه وأمته .. كما قال بالضبط .

التقى حاجبا (بين) في شدة ، وهو يقول :

ـ وطنه وأمته ؟!.. هذا يعني أنه على الأرجح ..

قبل أن يتم عبارته ، بلغت مسامعه فجأة تلك الجلبة بالخارج ، فبتر حديثه ، وهبَّ واقفا ، وهو يقول في توتر :

ـ ماذا حدث ؟

وفجأة اقتحم رجال الأمن حجرته ، وهم يشهرون مدافعهم الآلية ، والصرامة تطل بكل وضوح من ملامحهم ، فقفز (دافيد) من مقعده متوترًا متحفِّزًا ، وتراجع هو صائحا :

ـ ماذا تفعلون ؟!.. أهي خيانة ؟

أجابه أحد رجال أمنه :

ـ معذرة يا سيِّدي ، ولكننا تلقينا إشارة لاسلكيَّة ، تفيد بأن الرجل الذي تبحث عنه هنا ، داخل المبنى ، وتأمرنا بالبحث عنه جميعًا ، واعتقاله ، أو قتله إذا ما لزم الأمر .

صاح بهم غاضبًا :

ـ أي قوم أنتم ؟!.. أتطيعون أي أمر يأتيكم ، عبر اللاسلكي ؟

قال الرجل في ارتباك :

ـ ولكن الأمر أتى عبر الموجة السرية ، التي نستخدمها نحن وحدنا يا سيِّدي ، ولم يكن أمامنا سوى طاعته .

قال في عصبية :

ـ عبر الموجة السرية ؟!.. كيف ..

بتر عبارته بغتة ، وتذكَّر أن (ماركو) قد فقد جهازه اللاسلكي ، وهو مضبوط على الموجة السرية ، فهتف :

ـ اللعنة !.. إنه يعلم أين نحن .

ثم صاح برجاله :

ـ فتشوا المبنى كله .. أسرعوا .

اندفع الرجال لتنفيذ الأمر ، وقال (دافيد) :

ـ هل من الحكمة أن يفعلوا يا سيِّدي ؟

التفت إليه (بين) في حدَّة ، وقال :

ـ ليس هذا من شأنك .

ثم تعلَّقت عيناه فجأة بوجه (دافيد) وأنفه المحطَّم ، واحتبست الكلمات في حلقه ..

فهناك .. عند طرف الأنف ، كان غشاء مطاطي رقيق قد انفصل ، وتدلَّى من طرفه ، بحيث لم ينتبه إليه (دافيد) ..

أو الشخص الذي ينتحل شخصية (دافيد) ..

وفجأة ، صرخ (بين) ، وهو يستلّ مسدسه :

ـ إليَّ يا رجال .. الجاسوس هنا .

وصوَّب مسدسه نحو (دافيد) ، الذي صاح :

ـ ماذا تفعل ؟

ولكن (بين) أطلق النار ..

وبقفزة رشيقة ، تفادى (دافيد) خيط النيران ، ثم انقضَّ على (بين) ، صائحا :

- حسن .. أنت أردت هذا .

وبضربة عنيفة ، أطاح المسدس من يد (بين) ، الذى صرخ مرة أخرى :

- النجدة يا رجال .

وجذب (دافيد) من سترته فى قوة ، ثم رفعه فى خفة ، وألقاه أرضًا ، وهو يقول :

- فيم سيفيد رجالك ؟

شعر (بين) بآلام مبرحة فى ظهره ، من أثر السقوط ، فصرخ مرة أخيرة :

- النجدة !

وإثر صرخته وصل الرجال هذه المرة ، ورأوا (دافيد) ينحنى ليحمله للمرة الثانية ، فصاح به أحدهم ، وهم يصوبون إليه مدافعهم الآلية :

- توقف .

ولكن (دافيد) حمل (بين) أمام صدره ، ليحمى به جسده ، ويمنعهم من إطلاق النار ، وأسرع يختطف المسدس الملقى أرضًا ، فصاح الرجل ثانية :

- قلت توقف ، وإلا فلا تلومن إلا نفسك .

صاح بهم (دافيد) :

- ابتعدوا أنتم ، وإلا أطلقت النار على رأسه .

ولكن (بين) هتف فى ثورة :

- اقتلوه .. اقتلوه مهما كان الثمن .

تردد الرجال أمام هذا الأمر ، الذى يعلمون جيدًا أنه يحمل من التهديد ، أكثر مما يحمل من الواقع والحقيقة ، فى حين هتف (دافيد) :

- لن أسمح لكم بالتخلص منى أبدًا .

وفجأة ، انفلت (بين) من بين ذراعى (دافيد) ، وهو يصرخ :

- الآن .

وارتفعت فوهات المدافع الآلية دفعة واحدة ، و ...

وانهمرت الرصاصات ..

انهمرت كالمطر ..

* * *

«أنا أعرف ما حدث ..» .

توقف (قدرى) عن القراءة بغتة ، ليهتف بهذه العبارة ، فرفعت (منى) عينيها إليه فى تساؤل ، وقالت :

- وماذا حدث فى رأيك ؟

اعتدل فى مجلسه ، وقال فى حماس :

- كان (أدهم) ينتحل شخصية (دافيد) ، وعندما أطلقوا النيران عليه هاجمهم كالليث ، وهزمهم ، و ...

بتر حديثه فجأة ، ليهتف فى وجهها :

- لماذا تضحكين ؟

لوحت (منى) بكفها ، قائلة :

- يبدو أنك أصبحت خبيرًا فى أسلوب (أدهم صبرى) .

ابتسم فى زهو ، وقال :

- بالتأكيد .. لقد قرأت معظم عملياته السابقة .

قالت بابتسامة كبيرة :

- ولكن (أدهم) يمتاز بأمر خاص ، وهو أن أسلوبه يصعب توقعه عادة .

هتف بها :

- خطأ .. (أدهم) له أسلوب معروف ، فهو خبير تنكر ، و ...

قاطعته ضاحكة :

- ولماذا نستبق الأحداث ؟.. دعنا نواصل القراءة ، ونعرف ما حدث بالضبط .

قال فى حماس :

- أردت فقط أن أثبت لك خبرتى .

هزت رأسها ، وضحكت مرة أخرى ، وقالت :

- فليكن .. واصل القراءة .

قال فى زهو :

- بالطبع ..

وعاد يقرأ ..

* * *

كل الرصاصات أصابت هدفها ..

كلها استقرت فى رأس (دافيد) وجسده ..

وجحظت عينا العملاق ، وترنح جسده لحظات ، ثم لم يلبث أن هوى جثة هامدة ، عند قدمى (بين) ، الذى هتف فى ظفر :

- لقد أوقعنا به .

ثم انحنى يجذب القناع الزائف عن وجه (دافيد) ..

واتسعت عيناه فى هلع وذهول ..

لم يكن هناك قناع فوق وجه (دافيد) ..

فقط أنف صناعى من المطاط الرقيق ، تعمد واضعه ألا يلصقه جيدًا ، بحيث لا يشعر به (دافيد) نفسه ، عندما يستعيد وعيه ، وبحيث يرتخى مع مرور الوقت ، ويبدو كما لو كان جزءًا من قناع تنكرى ..

وهتف (بين) فى سخط ومرارة :

- اللعنة !.. لقد كان (دافيد) ، ولكن أحدهم خدعنا ، وجعله يبدو زائفًا .

حدق الرجال فى جثة (دافيد) فى ذهول ، قبل أن يغمغم أحدهم :

- ولكن لماذا قاومنا ؟

قال (بين) فى سخط :

- كان يتصور أننا نحاول التخلص منه .

ثم استدرك فى عصبية :

- ولكن لماذا كل هذا ؟.. لماذا كل هذه الخدعة ؟؟.. لا ريب أنه هناك هدف خفى ، خلف كل ما يحدث .

لم يكد يتم عبارته ، حتى ارتفع دوى رصاصات فى الطريق ، فهتف :

- هناك قتال فى الطريق .. كم من الرجال تركتم لحماية السيارتين ؟

تلفت الرجال بعضهم إلى البعض فى ذعر ، وقال أحدهم :

- فقط سائق سيارتك .
صرخ فى غضب :
- ماذا ؟!.. فى أية دار للعجزة تدرّبتم ؟.. كيف تتركون سيارتين فى حراسة سائق واحد .. أسرعوا لنجدته ..
اندفع الجميع لتلبية الأمر ، وعندما وصلوا إلى أسفل ، رأوا سائق سيارة (بين) ، فى زيّه المميزّ ، وهو يطلق النار على سيارة مسرعة ، انحرف بها سائقها يسارًا ، واختفى فى أول منحنى ، وإطارات سيارته تطلق صريرًا رهيبًا ، وهتف (أحدهم) :
- ماذا حدث ؟.. من هذا الهارب ؟
أجابه السائق ، والدماء تسيل من أسفل قبعته الرسمية ، وتغمر جبهته ، ونصف وجهه الأيسر :
- إنه متسلّل ، حاول الوصول إلى المنزل الآمن ، ولكننى كشفت أمره ، وأطلقت النار عليه ، وبادرنى هو برصاصتين ، أصابتا جبهتى وذراعى اليمنى ، وأطلق النار على إطارات سيارتكم ، قبل أن يقفز فى سيارة رياضية ، وينطلق مبتعدًا .
وصل (بين) فى هذه اللحظة ، وسأل السائق فى توتر :
- هل رأيته جيّدًا ؟
أجابه السائق ، وهو يمسح الدماء عن وجهه :
- بالطبع يا سيّدى .. يمكننى أن أصفه بمنتهى الدقة .
قال (بين) :
- وهل يحمل أية صفات مميّزة ؟
أجاب السائق :

- كلا ، ولكنه فقد هذا ، وهو يبادر بالفرار .
وأشار إلى جهاز لاسلكى ملقى أرضًا ، فأسرع (بين) يلتقطه ، وهتف :
- إنه جهاز (ماركو) ... أحسنت يا (زايك) .
وتملّكه الانفعال وهو يستطرد :
- إنه هو .. نفس الرجل الذى نبحث عنه .. ستدلى بأوصافه بكل دقة يا رجل ، وسيقوم رسامنا الخاص برسم صورة له ، يتم توزيعها على كل رجالنا .. هيا .. قُد أنت السيّارة يا (مينو) ، ولنسرع إلى المقر الرئيس ، ليستمع أدون (إليعازر) بنفسه لأقوال (زايك) .. أما أنتم فاصلحوا الإطارات ، وانصرفوا من هنا بسرعة ، قبل وصول رجال الشرطة .
وانطلق مع الرجلين فى سيارته ، التى جلس وحيدًا فى مقعدها الخلفى ، وضغط أزرار جهاز الاتصال اللاسلكى ، وهو يقول :
- من (هى) إلى (قاف) .. أجب .. من (هى) إلى (قاف) .
مضت لحظة من الصمت ، قبل أن ينبعث صوت (إليعازر) ، عبر جهاز اللاسلكى ، وهو يقول فى حدّة :
- أين أنت يا (هى) ؟.. لِمَ لَمْ توقظنى لتخبرنى ما لديك ؟.. كيف تتصرّف دون أوامرى ؟
أجابه (بين) فى ارتباك وتوتر :
- لم أشأ إزعاجك يا سيّدى ، فقد كنت تحتاج إلى النوم ، كما كنت أحمل الكثير من الشك ، وربما كنت على حق .. لقد خدعنا فريق المحترفين هذا مرة أخرى ، وتسبّب فى مصرع (دافيد) ، ولكن

سائقى (زايك) رأى المعتدى ، ويمكنه وصفه جيدًا لـ (خوليو) .

صاح (إليعازر) :

ـ أى معتد يا (هى) ؟.. إنك تفسد كل شىء .. كان من المحتم أن تنتظر أوامرى .

قال (بين) فى توتر :

ـ خشيت أن تضيع الفرصة ياسيدى ، فقد تضطرنا معلومات (دافيد) إلى إدخال تعديلات جوهرية على خطة السفارة المصرية ، و ..

قاطعه (إليعازر) فى ثورة :

ـ أطبق شفتيك يا رجل .. من الأمور ما لاينبغى لك أن تشير إليه ، إلا وأنت وحدك ، داخل خزانة مغلقة .

ثم أضاف فى عصبية :

ـ هيا .. عد إلى هنا بأقصى سرعة .. إننى أنتظرك .. هيا ..

انتهى الاتصال ، وتمتم (بين) فى سخط :

ـ لقد فعلت ما كان ينبغى أن أفعل .

ران بعد عبارته صمت تام داخل السيارة ، التى قادها (مينو) فى سرعة ، حتى بلغ فيلا أنيقة من طابقين ، فى أحد ضواحى (روما) ، فغمغم (بين) :

ـ لقد وصلنا .. ادخل من الباب الخلفى يا (مينو) ، أو ...

بتر عبارته بغتة فى ذهول شديد ، وخيل إليه أن الأحداث تتكرر ، كما لو كانت فيلمًا سينمائيًا يعاد عرضه ..

فأمامه مباشرة ، كان السائق يواصل مسح الدماء عن وجهه ، وكان المنديل الذى يستخدمه قد انتزع جزءًا من هذا الوجه ..

أو من هذا القناع ..

ومرة أخرى استلّ (بين) مسدسه ، وصاح :

ـ توقّف يا (مينو) .. هذا ليس (زايك) ..

وكانت عبارته إيذانًا بانتهاء فترة الراحة ..

وباشتعال الجحيم .

* * *

١١ ـ الثعلب ..

كان (بين) محقًا تمامًا هذه المرة ..

ذلك الذى يرتدى الزى الرسمى للسائق ، لم يكن (زايك) الحقيقى ..

كان (أدهم) ..

(أدهم صبرى) ..

وفى اللحظة التى أطلق فيها (بين) صيحته ، كان (أدهم) هو أوّل من تحرّك ، وأوّل من قام بعمل إيجابى ، على الرغم من أن (بين) هو الذى استلّ مسدسه فى البداية ..

لقد انتزع (بين) مسدسه ، وهمّ بتصويبه إلى (أدهم) ، إلا أن هذا الأخير استدار فى سرعة ومرونة ، وهوى بقبضته اليمنى على فك (بين) كالقنبلة ، وهو ينتزع المسدس من يده بيسراه ، قائلًا فى سخرية :

ـ يا للعبقرية !.. هل كشفت أمرى بهذه السرعة ؟

أصابت اللكمة (بين) ، وضربته بمقعده فى عنف ، وأظلمت الدنيا أمام عينيه ، فى حين حاول (مينو) انتزاع مسدسه بدوره ، ولكن قبضة (أدهم) سبقته ، وأصابته بين عينيه ، وأعقبتها أخرى انتزعته من مقعده ، وألقت به خارج السيارة ، ليسقط فاقد الوعى ، فاستدار (أدهم) يصوّب مسدسه إلى (بين) ، الذى قاوم الدوار الذى يشعر به فى صعوبة ، وهو يقول :

ـ كيف فعلت كل هذا بحق الشيطان ؟

أجابه (أدهم) ساخرًا :

ـ إنه ليس بالعمل المدهش أو المستحيل أيها الوغد .. لقد بذلتم جهدًا جيدًا ، فى محاولة الإفلات من المطاردة ، ولكننى لحقت بكم فى كل مرة ، ووصلت إلى نفس المنزل الآمن ، الذى أعددتموه للقاء ، ورأيت (دافيد) يصعد إليه ، مع بعض رجالكم ، ثم رأيتك تصل بعدها بقليل ، فوضعت خطتى .

أخفى (بين) وجهه بكفيه ، محاولًا السيطرة على انفعالـه ، وإخفاء الغيظ الذى يشعر به ، فى حين تابع (أدهم) :

ـ وباستخدام جهاز اللاسلكى ، الذى حصلت عليه من الرجل الثانى فى حلقة اتصالاتكم المركّبة ، دفعت رجالك إلى ترك أماكنهم ، باستثناء سائقك (زايك) ، للدفاع عنك ضد هجوم وهمى ، وعندما أصبح الرجل وحده ، بادرته بهجوم مباغت ، وأفقدته الوعى ، ثم صنعت قناعًا عاجلًا لوجهه ، باستخدام نوع من الرش المطاطى الخاص ، ابتكرته معاملنا ، وافتعلت الإصابات والدماء ، لتبرير عدم وضوح الملامح ، وعدم قدرتى على قيادة السيارة ، ثم استعنت بزميل لى هنا ، ليقود السيارة ، وأطلق أنا النار عليه ، مما يدعم موقفى ، ويجعلنى الشاهد الوحيد ، الذى يمكنه أن يصف خصمكم ..

وابتسم فى سخرية ، مستطردًا :

ـ ومن الواضح أن خطتى قد نجحت تمامًا ، فهأنذا هنا .

قال (بين) فى عصبيّة :

ـ لن تبقى طويلًا .

أجابه (أدهم)، وهو يلوّح بالمسدس فى وجهه :

ـ هذا يتوقّف على سرعتك فى الإدلاء بتفاصيل تلك العملية، التى تستهدف سفارتنا هنا .

قال (بين) فى سخرية عصبية :

ـ سفارتكم ؟!.. أتتصوّر أننا نستهدف سفارتكم ؟.. يالك من ساذج !

قال (أدهم) فى صرامة :

ـ ما الهدف الرئيسى إذن ؟

اعتدل (بين) بغتة، وقال :

لن تجد الوقت لمعرفته، إنهم يراقبون مداخل الفيلا ومخارجها بآلات التصوير التليفزيونية .. ولقد كشفوا أمرك .. ها هم أولاء .

كانت خدعة شهيرة، ولكن (أدهم) شعر بنبرة صادقة فى صوت (بين) الملهوف، ونظراته المتوترة، وحركاته العصبية، فأدار عينيه بنظرة خاطفة، إلى حيث ينظر، و ...

وانحنى فى حركة سريعة ..

كان هناك أربعة رجال يندفعون خارج الفيلا، ويصوبون مدافعهم الآلية إلى السيارة ..

ومع انحناءته، انطلقت رصاصات مدافعهم الآلية ..

ومرة أخرى، اشتعل الجحيم ..

* * *

انهمرت الرصاصات على السيارة كالمطر، واخترقت زجاجها الأمامى، وأحالته إلى مصفاة، لم تلبث أن انهارت على هيئة فتات، والتصق (أدهم) بأرضية المقعد لحظات، ثم هتف فى حنق :

ـ هؤلاء الأوغاد يحتاجون إلى رد حاسم .

وضغط دوّاسة الوقود بقدمه، فاندفعت السيارة إلى الأمام، دون أن يرفع رأسه إلى مستوى الرصاصات، وسمع أصواتًا تهتف بالعبرية، ثم شعر بالسيارة ترتطم بجسد ليّن، مع صرخة ألم ..

وهنا فقط اعتدل (أدهم)، وهو ينتزع المدفع الآلى، الذى سقط من (مينو)، قبل أن يقذفه خارج السيارة، وأطلق النار على الرجال الثلاثة، الذين بقوا أمامه ..

وتراجع الرجال فى ذعر ذاهل، عندما أصابت الرصاصات أسلحتهم، وجرّدتهم منها، دون أن تمسّ أجسادهم ..

وفى حجرته الخاصة، اتسعت عينا (إليعازر) فى دهشة بالغة، وهو يراقب ما يحدث على شاشات الرصد، وهتف :

ـ أى رجل هذا ؟.. بل أى شيطان ؟

وحلّ رباط عنقه فى عصبية، ثم التقط سمّاعة الهاتف الداخلى، وقال :

ـ (داريو) .. أعدّ السيارة .. سنغادر هذا المكان على الفور .. نعم .. الأمر عاجل للغاية .. مُر الرجال كلهم بالتصدّى لذلك الشيطان، الذى يقاتل كالوحش المفترس فى الخارج، حتى يمكننا الفرار من هنا .. نعم .. الفرار أيها الغبى .. أسرع .

وأعاد سمّاعة الهاتف فى عنف، وعاد يتابع المشهد على الشاشات ..

وفى الخارج، تخلّص (أدهم) من الرجال الأربعة، الذين تراجعوا إلى داخل الفيلا، ثم التفت إلى (بين)، والتقى حاجباه فى حنق ..

كان (بين) جالسًا على الأريكة الخلفية ، وعيناه جاحظتان فى ألم وذعر ، وقد اخترقت رصاصات رجاله عنقه وصدره ، وأغرقت جسده كله بالدماء ..

لقد فقد (أدهم) حلقة أخرى من السلسلة الجهنمية ..

ولكنه لم يفقد الهدف ..

(إليعازر) ..

إنه هناك .. خلف هذه الأسوار ، وداخل الفيلا ..

وكانت الفكرة وحدها تكفى ، لتمتلئ عروق (أدهم) بحماس وحزم لا مثيل لهما ، فحمل المدفع الآلى ، ووثب خارج السيارة ، وهو يغمغم فى تهكم وسخرية :

ـ تُرى كم يستغرق رجال الشرطة الإيطالية ، للوصول إلى هنا ؟. لقد اشتقت لرؤيتهم .

ثم وثب متعلقًا بحاجز الفيلا ، وقد استعاد حماس الأيام الخوالى ، وذكريات قتال الصحراء ، فى أثناء عمله فى قوات الصاعقة ، ورأى خمسة رجال ينضمون إلى الثلاثة الآخرين ، ويحملون بدورهم مدافع آلية ، ومن خلفهم يندفع (إليعازر) خارج الفيلا ، ويعدو نحو سيارة سوداء كبيرة ..

ولم يكن من الممكن أن يضيع (أدهم) فرصة كهذه ..

فرصة اقتناص (إليعازر) ..

وكشف اللعبة ..

وبكل قوته ومهارته وحنكته ، قفز (أدهم) إلى حديقة الفيلا ، واندفع نحو الرجال الثمانية ، وهو يطلق نيران مدفعه الآلى ..

والعجيب أن الجميع تراجعوا أمامه ..

كان يبدو لهم أشبه بجيش من رجل واحد ، لا تخطئ رصاصاته هدفها قط ، ولا يحمل قلبه ذرة واحدة من الخوف ..

وعلى الرغم من رصاصاتهم القليلة ، التى أطلقوها نحوه ، والتى أخطأت كلها هدفها ؛ بسبب توترهم وذعرهم ، وعلى الرغم من سرعتهم فى الانسحاب ، إلا أن رصاصاته كلها أصابت سيقانهم وأيديهم ، وأسقطتهم عاجزين عن القتال ، مصابين بمزيج من الذعر والدهشة ، لأنه لم يلجأ إلى قتلهم ، على الرغم من استطاعته هذا ..

ولم يكن من الممكن أبدًا أن تدرك عقولهم ، أن هذا بالضبط مبدأ (أدهم صبرى) ..

المقاتل المصرى الفريد ..

إنه لا يقتل أبدًا ، عندما يكون باستطاعته أن يفعل ..

هذا ما علّمه إياه والده ..

وهذا ما لقنته عروبته ..

أما (إليعازر) ، فقد صرخ بسائق سيارته ، فى ذعر لا مثيل له ، وهو يقفز داخل السيارة :

ـ اسرع بنا إلى دون (ريكاردو) .. إلى قصره الخاص .

انطلق نحوه (أدهم) ، واعترض طريق السيارة ، وهو يصوّب مدفعه الآلى إلى إطاريها الأماميين ، فصرخ (إليعازر) :

ـ اصدمه يا (داريو) .. اقتله .

زاد (داريو) من سرعة سيارته ، وقال (أدهم) فى صرامة :

ـ حسن أيها الوغد .. أنت أردت هذا ..



وانقضت السيارة السوداء الكبيرة على (أدهم) ، الذى وثب جانبًا ، وحاول التشبث بها ..

وضغط زناد مدفعه الآلى ..

ولكن المدفع لم ينطلق ..

والرصاصات لم تخرج من ماسورته ..

لقد فرغ المدفع من الرصاصات ، وصرخ (إليعازر) فى لهفة :

ـ اقتله يا (داريو) .. اقتله .

وانقضت السيارة السوداء الكبيرة على (أدهم) ، الذى وثب جانبًا ، وحاول التشبث بها ، إلا أنه انزلق عن جسمها اللامع المصقول ، وفقد توازنه ، فى حين صاح (إليعازر) :

ـ لقد أخطأته أيها الغبى .. هيا .. ابتعد .. ابتعد عن هنا بأقصى سرعة .

وانطلقت السيارة تغادر الفيلا كالصاروخ ، فى نفس اللحظة التى ارتفع فيها صوت أبواق سيارات الشرطة القادمة إلى المكان ، فاعتدل (أدهم) ، وقال فى صرامة :

فليكن يا (إليعازر) .. لقد ربحت هذه الجولة ، ولكن المباراة لم تنته بعد .

ولم تمض لحظات ، حتى اقتحم رجال الشرطة الإيطالية الفيلا ، وعثروا على الأسلحة والمصابين ، وكل شىء ..

فيما عدا (أدهم صبرى) ..

لقد اختفى ..

اختفى تمامًا ..

★ ★ ★

استيقظ (عصمت جمال الدين) من نومه ، على رنين جرس باب شقته ، فتطلع إلى ساعته ، التى أشارت عقاربها إلى السابعة والنصف صباحًا ، وغمغم :

ـ أراهن أنه هو .

أسرع إلى الباب ، ولم يكد يفتحه ، ويتطلع إلى وجه (أدهم) وهيئته الرثة ، حتى هتف فى انزعاج :

ـ ماذا أصابك ؟

دخل (أدهم) إلى الشقة فى سرعة ، وأغلق بابها خلفه ، وهو يقول فى إرهاق واضح :

ـ لاشىء .. مجرّد حوار قصير ، مع رجال (إليعازر) .

هتف (عصمت) :

ـ هل توصلْت إليه ؟!

أجابه (أدهم) ، وهو يلقى جسده على أقرب المقاعد إليه :

ـ نعم ولا .. لقد انخدع (بين) باللعبة التى اشتركنا فيها معًا ، وتصوّر أننى سائق (زايك) ، بعد أن رآنى رجاله أطلق النار على سيارتك ، وأنت تبتعد بسرعة ، وقادنى كالساذج إلى وكر (إليعازر) . ولكن (إليعازر) أطلق رجاله علينا ، وتسبّب فى مقتل (بين) ، ثم فرّ فى سيارة ضخمة أمام عينىّ ، وسمعته يأمر سائقه بالذهاب إلى قصر رجل يُدعى دون (ريكاردو) ، ويبدو أنه سيختبىء هناك ، حتى يتم لعبته الكبرى .

عقد (عصمت) حاجبيه فى شدة ، وهو يقول :

ـ دون (ريكاردو) ؟!.. يبدو أن الأمور ستزداد تعقيدًا يا صديقى .

سأله (أدهم) ، وهو يقاوم رغبة عنيفة فى النوم ، تحيط بعقله فى إصرار :

ـ لماذا ؟.. من هو دون (ريكاردو) هذا ؟

أجابه (عصمت) :

ـ ما من مخلوق واحد ، فى (إيطاليا) كلها ، يجهل من هو دون (ريكاردو) يا (أدهم) .. إنه الأب الروحى لعصابات (المافيا) كلها ، والرجل الذى يرتجف لذكر اسمه كل مسئول فى (روما) ، من محافظها ، وحتى أصغر رجل شرطة فيها .

ابتسم (أدهم) ابتسامة متهالكة ، وهو يتمتم :

ـ حقًا .. سيكون القتال ممتعًا إذن .

هتف (عصمت) :

ـ ممتعًا ؟!.. يبدو أنك لم تدرك الأمر فعليًا .. إنك ستقاتل وحشًا كاسرًا ، فى عرينه الخاص ، ووسط رجاله وأسلحته .. كلا يا (أدهم) .. أعتقد أن المهمة أصبحت مستحيلة الآن .

تمتم (أدهم) ، وهو يهوى فى أعماق النوم :

ـ لا يوجد مستحيل .

كان هذا آخر ما قاله ، قبل أن يغرق فى نوم عميق .. عميق للغاية .

* * *

١٢ ـ دون (ريكاردو) ..

لم يكد مدير المخابرات المصرية يصل إلى مكتبه ، حتى استقبله النقيب (حازم) على باب المكتب فى لهفة واضحة ، وهو يقول :

ـ لقد اتصل (عصمت) من (روما) يا سيدى .

سأله المدير فى اهتمام ، وهو يدلف إلى مكتبه :

ـ هل من أخبار عن عملية (أدهم) ؟

أجابه (حازم) ، وهو يلحق به إلى الداخل :

ـ (أدهم) هناك ، فى شقة (عصمت) .

توقف المدير دفعة واحدة ، والتفت إليه فى حركة سريعة ، قائلاً :

ـ ماذا حدث بالضبط ؟

أجاب (حازم) :

ـ لقد توصّل (أدهم) إلى (إليعازر) ، ولكن هذا الأخير نجح فى الفرار ، واختبأ فى قصر دون (ريكاردو) .

قال المدير فى قلق :

ـ دون (ريكاردو) .. زعيم (المافيا) ؟!

أومأ (حازم) برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ نعم ، و (أدهم) الآن مستغرق فى نوم عميق ، فى شقة (عصمت) ؛ لأنه لم يذق طعم النوم منذ سافر إلى (روما) ، وهو مصرّ على المضى قدمًا فى مهمته ، حتى ولو اضطر لاقتحام قصر دون (ريكاردو) ، ولكن (عصمت) يرى أن هذا الأمر بالغ

الخطورة ، وفرصة النجاح فيه لاتجاوز الواحد فى الألف ، ويسأل : هل يعلن (أدهم) بأمر إلغاء المهمة أم لا ؟

التقى حاجبا المدير فى تفكير عميق ، واتجه فى صمت إلى مكتبه ، وجلس خلفه ، وشبك أصابع كفيه أمام وجهه طويلاً ، قبل أن يعتدل فجأة ، قائلاً :

ـ كلّا .

تطلّع إليه (حازم) فى تساؤل حذر ، وكأنه يرغب فى مزيد من التوضيح ، فاستطرد المدير فى حسم :

ـ لم يعد هناك أمر بإلغاء المهمة .. (أدهم) هذا يشق طريقه ببسالة نادرة ، ومهارة تستحق الإعجاب ، ومن المحبط للغاية أن نطالبه بإلغاء المهمة ، بعد أن بلغ فيها هذا الحد .

ثم نهض فى حماس ، متابعًا :

ـ أرسل لـ (عصمت) ، واطلب منه جمع كل المعلومات الممكنة عن قصر دون (ريكاردو) ، وعن وسائل أمنه ، وأسلوب طاقم حراسته ، وتسليم كل هذا لـ (أدهم) ؛ ليواصل عمله ، مع تمنياتنا له بالنجاح .

قال (حازم) مبهوتًا :

ـ هل سيواجه (المافيا) وحده ؟

أجابه المدير فى صرامة :

ـ إنه يواجه (الموساد) وحده بالفعل ، وبأوراق مكشوفة ، ولن يضيره أن يواجه (المافيا) أيضًا .

قال (حازم) فى توتر :

- فى هذه الحالة سيواجههما معا .

قال المدير فى حزم :

- لا تجعل هذا يقلقك .. أنا أعلم كيف يتحرك (أدهم) .

قالها وهو يشعر فى قرارة نفسه بالقلق ..

الكثير من القلق ..

* * *

أطلق دون (ريكاردو) ضحكة عالية مجلجلة ، انعقد لها حاجبا (إليعازر) فى سخط ، وهو يقول فى حدة :

- لماذا تضحك يا (دون) ؟.. لو أنك رأيت مثلى ما فعله ذلك الشيطان ، لهرعت إلى السجن نفسه ؛ لتنقذ نفسك منه .

قهقه دون (ريكاردو) مرة أخرى ، وقال :

- رجل واحد ؟!.. رجل واحد يفعل بك هذا يا عزيزى (إليعازر) ؟!.. يبدو أنك صرت مسنا ، ولم تعد تحتمل النزال .

هتف (إليعازر) فى غضب :

- إنه ليس مجرد رجل عادى .. صدقنى .. لقد أرسلوا شيطانا .

هز دون (ريكاردو) رأسه فى سخرية ، وقال :

- فليكن يا عزيزى (إليعازر) .. إنك هنا على الرحب والسعة ، أيا كانت الأسباب .. إلى متى ترغب فى البقاء ؟

أجابه (إليعازر) :

- يوم واحد .

رفع (ريكاردو) حاجبيه فى دهشة ، وقال :

- يوم واحد ؟!.. عجبا !.. تصورت أنك ستبقى هنا لشهر على الأقل .

هز (إليعازر) رأسه نفيا ، وقال :

- لست أحتاج لأكثر من يوم واحد ؛ فغدا صباحا ينتهى كل شىء

قال دون (ريكاردو) فى اهتمام :

- هى عملية خاصة إذن .

برقت عينا (إليعازر) ، وهو يقول :

- نعم .. عملية كبرى .. أكبر عملية قمت بها ، منذ زمن طويل .

ابتسم دون (ريكاردو) ، وقال :

- هذا هو (إليعازر) الذى أعرفه .

ثم اعتدل ليشعل سيجارته ، وهو يقول :

- بهذه المناسبة .. ما رأيك فى سهرة خاصة ، فى ملهاى ، و ...

قاطعه (إليعازر) :

- كلا .. لن أغادر قصرك ، حتى ظهر الغد .

أطلق (ريكاردو) ضحكة أخرى ، وقال :

- فليكن يا عزيزى .. هذا هو الحرص الذى يميز بنى قومك .

ثم مال نحوه ، ونفث دخان سيجارته ، مكملا :

- ولكن تذكر .. الحذر لا يمنع القدر .

قال (إليعازر) فى سخط :

- احتفظ لنفسك بالحكم والمواعظ .

قهقه دون (ريكاردو) ، وهو ينهض قائلا :

- سأحتفظ بها يا رجل .. صدقنى .. سأحتفظ بها .

واتجه إلى باب الحجرة ، وهو يستطرد ، دون أن يلتفت إلى (إليعازر) :

- وفى الوقت نفسه سأحيطك بحراسة مكثفة .. خمسة رجال على باب حجرتك ، ومثلهم فى كل طرف من طرفى الممر ، وثلاثة عند أول السلّم ، ومراقبة تليفزيونية لمداخل ومخارج القصر .. هل يكفيك هذا ؟

قال (إليعازر) فى توتر :

- سأشعر بالارتياح أكثر ، لو كانت هناك هليوكوبتر على السطح .

ضحك دون (ريكاردو) ، وقال :

- فليكن .. سأضع هليوكوبتر على السطح .

وغادر الحجرة ، وهو يردد لنفسه فى سخرية :

- كل هذا من أجل رجل واحد .. يا للسخافة !.. من الواضح أنهم لم يعودوا مثلما كانوا فى (الموساد) .

ونفث دخان سيجارته فى قوة ، وهو يلقى أوامره ..

★ ★ ★

استيقظ (أدهم) فى نفس اللحظة ، التى أشارت فيها عقارب الساعة إلى تمام الواحدة ، وفتح عينيه دفعة واحدة ، ثم اعتدل جالسًا ، وفرك عينيه بأصابعه فى بطء ، و (عصمت) يبتسم قائلًا :

- هل نمت جيدًا ؟

أجابه (أدهم) فى هدوء :

- نعم .. كنت أحتاج إلى هذا كثيرًا .

ثم تطلّع إلى ساعته ، واستطرد :

- ولكننا فقدنا وقتًا ثمينًا .

قال (عصمت) بسرعة :

- ليس تمامًا .

ثم أشار إلى عدة أوراق ، مفرودة فوق المائدة ، واستطرد مبتسمًا :

- لقد حصلنا فى أثناء نومك على تصميمات قصر (ريكاردو) ، وبيان بنظام الأمن فيه ، ويمكنك دراسة كل هذا ، قبل أن تقدم على مهاجمته .

سأله (أدهم) ، وهو ينهض ، ويتجه إلى حمام المنزل :

- هل أبلغت (القاهرة) ؟

أجاب (عصمت) :

- نعم .. وهم الذين طلبوا منى معاونتك ، بأفضل وسيلة ممكنة ..

لم يعلّق (أدهم) ، وكأنما كان يتوقّع هذا ، ورآه (عصمت) يغسل وجهه جيدًا ، ثم يتوضأ ، ويصلى فى خشوع ، وشعر فى أعماقه بمزيد من الاحترام والتقدير له ، وأدهشه أن يجمع مثله ما بين الإيمان والعنف ، ولم يلبث أن حوّل دهشته هذه إلى سؤال ، ألقاه على مسامع (أدهم) ، فور انتهاء هذا الأخير من صلاته ، فقال :

- قل لى يا (أدهم) : كيف تتفق قوتك وأساليبك العنيفة ، مع ذلك الخشوع الشديد ، الذى رأيتك عليه فى أثناء الصلاة ؟

سأله (أدهم) فى بساطة :

- ولماذا يختلفان ؟!.. القوة للأعداء ، والخشوع لله (سبحانه وتعالى) .. إنها قاعدة الدين يا صديقى .. أشداء على الكفار ، رحماء بينهم ، ومهما بلغت قوتى ، فلست سوى ذرة لا تُرى بالعين المجرّدة ، ولا حتى بأقوى مجهر معروف ، أمام قوة الخالق (عزّ وجل) .

أومأ (عصمت) برأسه موافقا ، وتنحى جانبا ، ليشير إلى الأوراق ، مغمغما :

ـ صدقت يا صديقى .. هذه هى أوراق الأعداء .. هل ستدرسها الآن ؟

أجابه (أدهم) ، وهو يجذب مقعدا ، ويجلس إلى جوار الأوراق :

ـ بالطبع .

ثم استغرق فى قراءة الأوراق بكل حواسه ..

ولساعة كاملة ، لم ينبس ببنت شفة ، ولم يلق سؤالا واحدا ، وهو يدرس الرسوم والتصميمات فى اهتمام بالغ ، ثم لم يلبث أن نحى الأوراق جانبا ، وقال :

ـ إنه ليس قصرا .. إنه حصن حصين .. لقد أحاط هذا الوغد وكره بتحصينات تفوق ما تحيط به السجون نفسها .

غمغم (عصمت) فى أسف :

ـ ألم أقل لك : إن الوصول إليه مستحيل ؟

هز (أدهم) رأسه ، وقال فى حزم :

ـ لا يوجد مستحيل !.. هناك أمور قد تبدو عسيرة المنال ، عندما ننظر إليها من زاوية ما ، ولكن إذا ما نظرنا إليها من زاوية أخرى ، بدت بسيطة ، وسهلة المنال .. الأمر إذن يتوقف على الزاوية ، التى ننظر منها إلى الأمور .

سأله (عصمت) :

ـ وما زاوية نظرك إلى مشكلة دون (ريكاردو) هذه ؟

ابتسم (أدهم) ، وقال :

ـ سأتجاهل المشكلة ، وأركز اهتمامى على دون (ريكاردو) نفسه .

عقد (عصمت) حاجبيه فى تساؤل ، وهو يتمتم :

ـ ماذا تعنى ؟

اعتدل (أدهم) ، وقال :

ـ ستفهم كل شىء فى حينه .. المهم الآن أن ننشط رجالنا ، خلال الساعات القادمة ، لجمع كل ما يمكن من المعلومات والصور ، عن دون (ريكاردو) هذا .. عاداته .. تقاليده .. شرائط مسجلة له .. كل شىء .. حتى نوع أربطة الأحذية الذى يستخدمه .

قال (عصمت) بابتسامة كبيرة :

ـ لن يستغرق هذا أكثر من خمس دقائق ؛ فلدى هنا كل ما تطلبه .. إننا نراقب دون (ريكاردو) منذ زمن طويل ، بسبب العلاقة التى تربط بين (المافيا) و (الموساد) . ولدينا سجلات صوتيه ، وبعض الصور الفوتوجرافية ، وأفلام الفيديو ، وكل ما يمكنك معرفته عن دون (ريكاردو) ..

ثم غمز بعينه ، مستطردا :

ـ حتى نوع رباط حذائه .

ابتسم (أدهم) فى ارتياح ، وقال :

ـ فى هذه الحالة لن أحتاج لأكثر من بعض أدوات (المكياج) .. وبهذه الأدوات البسيطة سنجتاز نطاق الأمن لدى (المافيا) يا صديقى .

قالها وعاد مرة أخرى يدرس ..
وينهمك ..

★ ★ ★

ارتسمت ابتسامة واسعة ، على شفتى السفير المصرى ، وهو يتطلع إلى (سيجال) ، قائلاً :

ـ تقبل تهنئتى وتقديرى يا عزيزى (إبراهيم) .. إنك تستحق هذه الترقية . فى الواقع ، فأنت أكثر الملحقين الصحفيين ، الذين عملت معهم كفاءة .

صافحه (سيجال) ، وهو يسعل متظاهرًا بالمرض ، وقال :

ـ شكرًا يا سيدى .. أنت أيضًا أفضل سفير عملت معه .

ربت السفير على كتفيه ، وقال فى حرارة :

ـ ألف مبروك مرة أخرى يا (إبراهيم) .. هيا .. سأقلك إلى المطار .

ثم أشار إلى الحقيبة الصغيرة ، التى يحملها (إبراهيم) ، واستطرد :

ـ ألن تحمل سوى هذه ؟

ابتسم (سيجال) ، وقال :

ـ سيتم شحن حقائبى إلى سفارتنا فى (النمسا) .

قال السفير مبتسمًا :

ـ حسنًا فعلت .

اتسعت ابتسامة (سيجال) ، وهو يسير إلى جوار السفير ، ويمسك حقيبته الصغيرة فى إحكام ، فهذه الحقيبة كانت تحوى بندقية من طراز خاص ..

بندقية تصلح لغرض واحد ..

ـ الاغتيال ..

★ ★ ★

تطلع (عصمت) فى صمت إلى (أدهم) ، الذى راح يطالع شرائط الفيديو ، ويراجع كل صور دون (ريكاردو) فى اهتمام بالغ ، طوال ساعة كاملة ، قبل أن يعتدل ، ويغمغم مبتسمًا :

ـ عظيم .

سأله (عصمت) :

ـ هل توصلت إلى شىء ؟

أجابه (أدهم) :

ـ بالطبع .

ثم نهض مستطردًا :

ـ دون (ريكاردو) رجل منظم للغاية ، يقضى نهاره فى نادى الأثرياء ، ثم يعود إلى قصره ، ليغادره مرة أخرى فى الثامنة مساء ، ويجلس فى ملهاه الليلى ونادى القمار التابع له ، حتى الثانية صباحًا ، وبعدها يعود إلى القصر .. وهو دائمًا محاط بحراسة مكثفة ، تجعل الاقتراب منه شبه مستحيل .

غمغم (عصمت) :

ـ ألم أقل لك ؟.. لن يمكنك اقتناصه أبدًا .

ابتسم (أدهم) ، وقال :

ـ ومن يرغب فى اقتناص وغد كهذا ؟

حدق (عصمت) فى وجهه بذهول ، وهتف :

ـ ربّاه .. لقد نطقتها بصوته وأسلوبه .. لو أغمضت عينيّ لأقسمت أننى أستمع إلى دون (ريكاردو) نفسه .

ابتسم (أدهم) ، وقال فى شىء من الجذل :

ـ هذا يعنى أننا لو نجحنا فى خداع عينيك أيضًا ، لأصبحت بالنسبة لك زعيم (المافيا) بشحمه ولحمه .

قال (عصمت) فى حذر :

ـ هذا ليس بالأمر السهل .

ضحك (أدهم) قائلًا :

ـ ربما .

والتقط أدوات (الماكياج) ، التى أحضرها (عصمت) ، واتجه إلى حجرة هذا الأخير ، وهو يستطرد :

ـ هذا يتوقف أيضًا على الزاوية ، التى تنظر منها إلى الأمور .

وتوقف فجأة ، والتفت إلى (عصمت) ، وقال فى جدية :

ـ بالمناسبة .. لقد ذكر (بين) قبيل مصرعه ، شيئًا عن سفارتنا ، وأشار إلى أن العملية تتعلق بها ، ولكننى سأشعر بدهشة حقيقية ، لو أن (اليعازر) قد احتجب كل هذا الوقت ، وأحاط نفسه بكل هذه الاستحكامات ، من أجل عملية محدودة ، تتعلق بالسفارة ، وعلى الرغم من هذا أريد منك أن تذهب إلى السفارة ، وتحاول معرفة أية ظروف خاصة هناك ، قد تدعو رجلًا مثله إلى عمل ضخم .

غمغم (عصمت) :

ـ سأفعل .

وهنا دلف (أدهم) إلى الحجرة ، وأغلق بابها خلفه ، و ...

وبدأت جولة جديدة ..

* * *

١٣ ـ قلب الليل ..

تثاءب سائق سيارة دون (ريكاردو) ، وهو يتطلّع إلى ساعته فى ملل ، ثم قال لحارس الأمن ، الذى يقف إلى جواره :

ـ إنها لم تتجاوز الحادية عشرة بعد .. ما زال أمامنا ثلاث ساعات كاملة ، فى هذا الملل ، قبل موعد العودة .

مط الحارس شفتيه ، وقال :

ـ إننا نتقاضى أجورنا نظير هذا .

ابتسم السائق ، وقال :

ـ وهى ليست قليلة .

أتاه صوت صارم غليظ من خلفه ، يقول :

ـ وأنا أدفع فى سخاء .

التفت السائق والحارس إلى مصدر الصوت ، وهما يرتجفان فى ارتياع ، وهتف السائق فى هلع ، وهو يتطلّع إلى دون (ريكاردو) :

ـ لم أقصد شيئًا يا سيدى .. كنت أثنى على ..

قاطعه دون (ريكاردو) فى غلظة :

ـ صه .. لسنا فى البرلمان ، لتلقى على مسامعى خطبة عصماء .. هيا سنعود إلى القصر .

شعر السائق والحارس بدهشة عارمة ؛ لرغبته هذه ، ولوصوله إليهما من الطريق الخلفى ، ودون حراسة على الإطلاق ، ولكن السائق فتح باب السيارة الخلفى ، وانتظر حتى استقرّ دون (ريكاردو) على مقعده ، ثم هرع إلى مقعد القيادة ، وأدار محرّك

السيارة ، فى حين جلس الحارس الخاص على المقعد المجاور له ، وهو يسأل دون (ريكاردو) فى قلق :

ـ هل تشعر بوعكة ما يا سيدى ؟

مطّ دون (ريكاردو) شفتيه فى سخط ، وتمتم :

ـ كلا ، ولكننى سئمت هذا المناخ .

لم ينبس الحارس أو السائق ببنت شفة ، والسيارة تنطلق عائدة إلى القصر ، وإن أثار حيرتهما إحجام دون (ريكاردو) التام عن التدخين ، طوال طريق العودة ، وهو الذى قلّما تفارق سيجارته شفتيه ..

ووصلت السيارة إلى القصر ، واستقبلها رجال الحراسة هناك بالدهشة نفسها ، ولكن أحدهم لم يعترض ، وأفسحوا الطريق أمامها ، حتى بلغت باب القصر ، وهبط منها دون (ريكاردو) ، وهو يقول :

ـ أحضروا ضيفنا إلى مكتبى .

بدا لهم أن هذا هو سر عودته المفاجئة ، ولاحظ بعضهم أنه يرتدى حلّة تختلف عن تلك التى كان يرتديها ، عندما غادر القصر ، ولكن هذا لم يثر فى نفوسهم أية شكوك ، فهو يمتلك مصنعًا ضخمًا للملابس ، وربما يحلو له تبديل حلّته فى أية لحظة ..

ثم إنه اتجه مباشرة إلى حجرة مكتبه ، وقال لرجاله :

ـ عندما يأتى الضيف اتركونا وحدنا .

ودعم هذا القول رأيهم ، فى أن الضيف الإسرائيلى هو سبب عودته المفاجئة ، فأسرعوا يبلغون (إليعازر) الذى شعر بالدهشة نفسها ، ولكنه هرع لمقابلة دون (ريكاردو) ، الذى استقبله بوجه متجهم ، وهو يقول فى صرامة :

ـ اجلس يا (إليعازر) :

جلس (إليعازر) فى قلق ، وهو يسأله :

ـ هل طلبت مقابلتى يا (دون) ؟

جلس دون (ريكاردو) خلف مكتبه الكبير ، وظلّ يتطلّع إلى عينى (إليعازر) لحظات فى صرامة ، ثم قال فجأة :

ـ أنت تعلم أننى أسيطر تمامًا على (روما) .. أليس كذلك ؟

قال (إليعازر) فى حذر :

ـ ومن يمكنه إنكار هذا يا (دون) ؟

قال دون (ريكاردو) فى غضب .

ـ عظيم .. لماذا تدسّون أنوفكم فى منطقة نفوذى إذن ؟

ارتبك (إليعازر) ، وقال :

ـ من قال إننا فعلنا ؟

صاح به دون (ريكاردو) فى غضب :

ـ المعلومات المؤكّدة ، التى وصلتنى ، تقول : إنكم تعدّون لعملية كبرى هنا .

هتف (إليعازر) بسرعة :

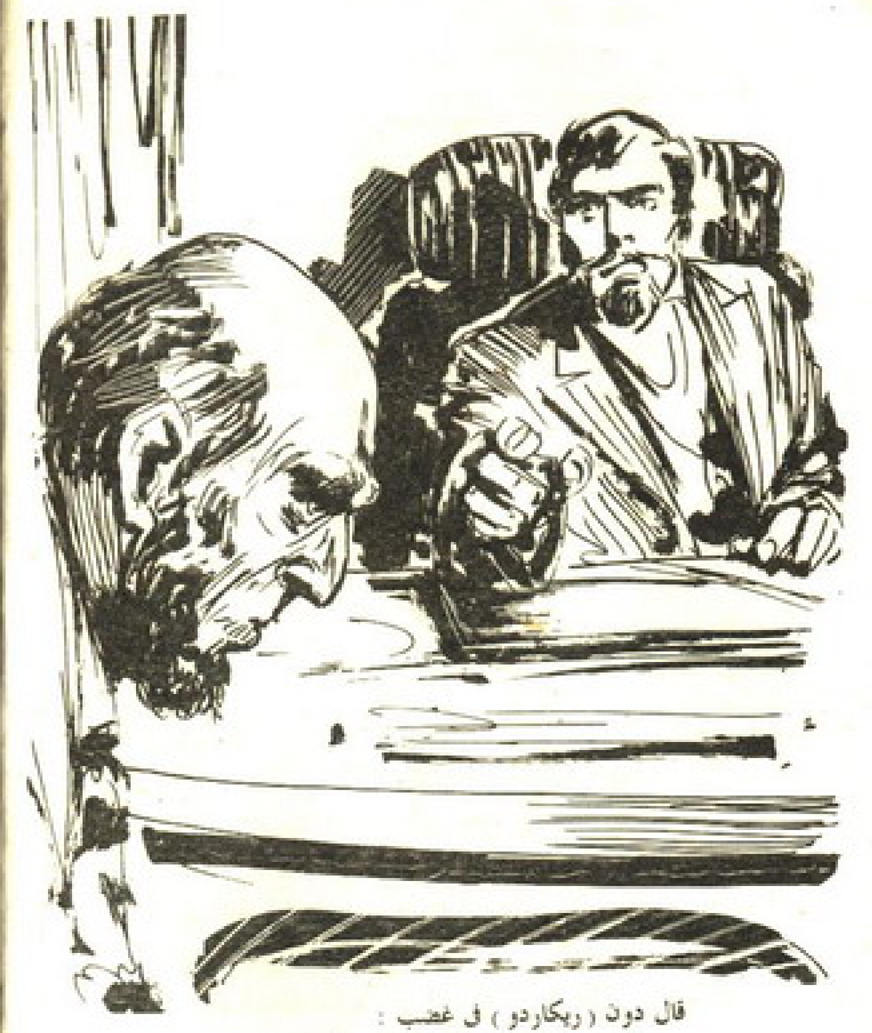
ـ خطأ يا (دون) .. أقسم لك أنها معلومات كاذبة .

ضرب دون (ريكاردو) سطح مكتبه بقبضته فى غضب ، وهو يصيح :

ـ بل صادقة .. لا تحاول خداعى .

قال (إليعازر) فى توتر :

ـ أقسم لك أنها كاذبة يا (دون) .. عمليتنا الكبرى ستتم غدًا ، فى (النمسا) ، ولا شأن لها بـ (روما) .



قال دون (ريكاردو) فى غضب :

ـ عظيم .. لماذا تدسّون أنوفكم فى منطقة نفوذى إذن ؟

التقى حاجبا دون (ريكاردو) فى اهتمام ، وهو يقول :

ـ فى (النمسا) ؟!.. فى أية مدينة بها ؟

أجابه (إليعازر) فى حذر :

ـ فى (فيينا) نفسها .. إنها عملية خاصة ، لاشأن لها بكم .

رمقه دون (ريكاردو) بنظرة طويلة ، ثم تراجع فى مقعده ، وأمسك ذقنه بأصابعه ، وهو يقول :

ـ وما تفاصيل هذه العملية ؟

أجابه (إليعازر) فى توتر :

ـ أنت تعلم أنه لا يمكننى منحك التفاصيل يا (دون) .. هذه قواعد العمل ، واتفاقنا معكم ينصّ على هذا .. نحن نمنحكم الدعم والتعاون ، وأنتم تمنحوننا المثل ، دون أسئلة أو استفسارات .

صاح دون (ريكاردو) فى غضب ، وهو يضرب سطح مكتبه بقبضته مرة أخرى :

ـ أنا الذى يضع القواعد هنا .

هبّ (إليعازر) من مقعده ، هاتفًا :

ـ إلا فى هذا يا (دون) .

وبدا من الواضح أن استخراج المعلومات منه سيحتاج إلى الكثير من الجهد ..

الكثير جدًا ..

* * *

نفث دون (ريكاردو) الحقيقى دخان سيجارته ، وهويطلق ضحكة عالية مجلجلة ، فى قلب نادى القمار الذى يملكه ، وربّت على كتف مدير البوليس ، وهو يقول :

- أهنئك يا صديقى .. أنت المحظوظ الوحيد ، الذى يربح على موائدنا .. لقد ربحت اليوم مليونى ليرة دفعة واحدة .

مط مدير البوليس شفتيه ، وتمتم :

- كان اتفاقنا أن أربح ثلاثة ملايين .

ضحك دون (ريكاردو) ، وقال :

- ليس دفعة واحدة يا عزيزى ، هذا سيثير الشكوك ، التى نحاول منعها بهذا الأسلوب المبتكر .. أليس كذلك ؟

همّ مدير (البوليس) بالاعتراض مرة أخرى ، لولا أن وصل أحد رجال دون (ريكاردو) فى هذه اللحظة ، وقال :

- معذرة يا (دون) ولكن هناك أمرًا بالغ الأهمية رأيت ضرورة عرضه عليك على الفور .

سأله (دون) فى اهتمام :

- أى أمر هذا ؟

مال الرجل على أذنه وهمس ، :

- سيارتك الخاصة ليست فى موضعها .. لقد اختفت مع سائقها وحارسك الخاص .

هتف دون (ريكاردو) كالمصعوق :

- ماذا ؟.. من ذا الذى يجرؤ على ..

بتر عبارته بغتة ، واستعاد ذهنه تفاصيل حديثه مع (إليعازر) ، فتمتم فى توتر :

- أمن الممكن أن ..

ثم هبّ من مقعده فجأة ، وقال لمدير البوليس :

- معذرة .. هناك أمر عاجل .

واندفع إلى حجرة مكتبه ، والمدير يهتف خلفه :

- لو أنك تحتاج إلى تعاون الشرطة ..

لم يستمع دون (ريكاردو) إلى باقى العبارة ، وإنما أغلق مكتبه خلفه ، والتقط هاتفه الخاص ، واتصل برقم سرى ، ولم يكد يسمع صوت مدير أمن قصره ، حتى قال :

- (ليوناردو) .. أنا (دون) .. هل حدث شىء عندك ؟

أجابه (ليوناردو) فى دهشة :

- (دون) ؟!.. دون (ريكاردو) .

صاح به فى غضب :

- بالطبع أيها الغبى .. ألديك (دون) آخر ؟

قال (ليوناردو) ، وقد تضاعفت دهشته :

- من أين تتحدث يا (دون) ؟

أجابه فى عصبية :

- من الملهى بالطبع .. أى سؤال هذا ؟

هتف (ليوناردو) فى ذهول :

- من الملهى ؟!.. ولكننى تركتك فى حجرة مكتبك منذ قليل يا (دون) ، بعد أن أحضرت لك الضيف الإسرائيلى .

اتسعت عينا (الدون) فى ذهول ، وهو يغمغم :

- فى حجرة مكتبى ؟!.. مع الضيف الإسرائيلى ؟!..

ثم صاح فجأة :

- هذا الذى لديك زائف يا (ليوناردو) .. شيطان ينتحل

شخصيتى .. إلق القبض عليه على الفور ، وسأصل إليك بأقصى سرعة ، وحاول أن تنقذ (إليعازر) من بين يديه .

أنهى (ليوناردو) الاتصال ، وهو يتمتم فى ذهول :

ـ رجل ينتحل شخصية (دون) .. وبكل هذا الإتقان ؟!..

استعاد ذهنه عددًا من النقاط ، لم يمنحها الاهتمام الكافى فى حينها ..

الخلّة المختلقة ..

وصول دون (ريكاردو) المبكّر ..

عدم وجود سيارة الحراسة خلفه ..

وفى حزم وحسم ، رفع مدفعه الآلى ، وهتف :

ـ إلىّ يا رجال .

فى نفس اللحظة كان (أدهم صبرى) ، قد اقترب من (إليعازر) ، وهو فى هيئة دون (ريكاردو) ، وقال بصوت هذا الأخير فى صرامة :

ـ أريد التفاصيل يا (إليعازر) ، حتى ولو كان هذا يخالف كل القواعد والأعراف .

قال (إليعازر) فى توتر بالغ :

ـ مستحيل يا (دون) .. لقد أخبرتك بوجود رجل يسعى خلفى ، فى محاولة لمعرفة أية تفاصيل .. إنه يطلق على نفسه اسم (أدهم صبرى) ، وهو اسم زائف حتمًا ، ولكن ماذا لو أنه ..

فجأة ، وقبل أن يتمّ عبارته ، اقتحم (ليوناردو) ورجاله الحجرة ، وارتفعت فوهات مدافعهم الآلية فى وجه (أدهم) ، و (ليوناردو) يهتف فى صرامة :

ـ احترس يا سنيور (إليعازر) .. هذا الرجل ليس (دون) .. إنه زائف .

وانقلبت الأمور رأسًا على عقب ..

* * *

مدّ السفير المصرى يده ، ليصافح (عصمت) ، وهو يتأمله فى اهتمام ، ويقول فى لهجة دبلوماسية أنيقة :

ـ يؤسفنى أن اضطرتك الأمور لانتظارى طويلًا ، ولكنك وصلت دون موعد سابق ، وكنت أوصل زميلًا إلى المطار .

تمتم (عصمت) :

ـ لا بأس يا سيدى .. الظروف هى التى حتمت هذا .

جلس السفير خلف مكتبه ، وهو يتطلّع إليه بنفس التساؤل والاهتمام ، ولم يشأ (عصمت) إضاعة المزيد من الوقت ، فقال :

ـ سيدى .. أنا أنتمى فى الواقع إلى المخابرات المصرية .

تراجع السفير فى هدوء ، وقال :

ـ كنت أتوقّع هذا إلى حد ما .

واصل (عصمت) ، وقد شعر بالارتياح :

ـ إننا نتابع مهمة بالغة الأهمية ،هنا فى (روما) ، وفى أثناء متابعتنا ، ذكر أحد الأعداء أن العملية تستهدف فيما تستهدف سفارتنا هنا ، وأردنا أن نعلم ما إذا كانت السفارة قد عانت من أى شىء ، فى الآونة الأخيرة .

هزّ السفير رأسه ، وهو يقول فى اهتمام :

ـ مطلقًا .

اجاب (عصمت) :

ـ أرجو أن يهتم طاقم الأمن بمراجعة هذا ، خشية أن يكون الأعداء قد دسوا بعض أجهزة التصنت هنا ، أو عميلًا من عملائهم ، أو حتى حاولوا تجنيد بعض العاملين بالسفارة .. وهناك احتمال لأن يكون كل هذا لم يحدث بعد ، وإنما فى طريقه إلى الحدوث .

قال السفير ، وهو يعتدل فى حسم :

ـ بالطبع .. سأتابع هذا الأمر بنفسى .

نهض (عصمت) ، وقال :

ـ أتمنى هذا يا سيدى السفير .. ومعذرة لإضاعة وقتك ، وشكرًا لتعاونك ، وأرجو أن تبلغنى بأية تطورات .

صافحه السفير فى حزم ، وهو يقول :

ـ ثق أننى سأفعل .

وعندما غادر (عصمت) السفارة ، كان السفير يحمل طنًا من القلق ..

ومن الحيرة ..

* * *

لم يكد (ليوناردو) يقتحم حجرة المكتب برجاله ، حتى جذب (أدهم) (إليعازر) إليه ، وصنع منه درعًا يحميه ، وهو يقول بصوته فى سخرية :

ـ رائع .. هل انتبهتم إلى الأمر الآن ؟

صاح (إليعازر) فى ذهول :

ـ أأنت .. أأنت ذلك الشيطان ؟!..

تجاهله (أدهم) تمامًا ، وهو يستل مسدسه ، ويصوبه إلى (ليوناردو) ، مستطردًا :

ـ هيا أيها الوغد .. افسح لى الطريق ، أو أطلق النار على ضيفكم معى .

قال (ليوناردو) فى صرامة :

ـ لا تتصور أن هذا سيمنعنا من قتلك .. إنك لن تتمكن من مغادرة هذا المكان ، بنفس البساطة التى دخلته بها .

صرخ (إليعازر) :

ـ لا تسمحوا له بالفرار .. إنه يعلم الكثير الآن .. اقتلوه .. اقتلوه أو تفشل العملية كلها .

وفى حركة مباغتة ، دفع جسده إلى أسفل ، مكررًا :

ـ اقتلوه .

كشفت حركته هذه جسد (أدهم) أمام مهاجميه ، فصاح (ليوناردو) :

ـ أطلقوا النار .

ولكن (أدهم) تحرك فى سرعة مدهشة ، فحمل جسد (إليعازر) فى قوة ، وألقاه نحو (ليوناردو) ورجاله ، قبل أن يطلقوا رصاصاتهم ، وصاح (ليوناردو) مرة أخرى :

ـ لا تسمحوا له بالفرار .

أطلق (أدهم) رصاصة من مسدسه نحو (ليوناردو) ، فأصاب مدفعه الآلى ، وأطاح به ، ثم اندفع نحو النافذة ، هاتفًا :

ـ ومن سينتظر موافقتهم يا صاح ؟

وبوثبة رشيقة قوية ، وثب نحو النافذة الزجاجية الكبيرة للحجرة ، واخترقها فى عنف ، ليهبط منها إلى الحديقة ، و (ليوناردو) يصرخ مع (اليعازر) ، فى صوت واحد :

ـ أوقفوه .

أما رجال الأمن فى الحديقة ، فقد اتسعت عيونهم فى دهشة وحيرة ، وتجمدت سباباتهم ، على أزندة أسلحتهم ، وهم يرون (أدهم) ، فى هيئة زعيمهم دون (ريكاردو) ، يخترق زجاج حجرة مكتبه ، ويعدو نحو سيارته الخاصة ، التى تراجع سائقها فى ذعر ، وهو يهتف :

ـ ماذا حدث يا سيدى ؟.. ماذا حدث ؟

أزاحه (أدهم) عن طريقه ، وهو يهتف :

ـ لا شأن لك بما أفعل .. أريد قيادة السيارة بنفسى فحسب .

ووثب داخل السيارة ، وأدار محركها ، وانطلق بها نحو البوابة ، فى نفس اللحظة التى ظهر فيها (ليوناردو) من النافذة المحطمة ، يهتف :

ـ أوقفوه .. أوقفوه قبل أن يهرب .

ولكن أحدًا من رجال (المافيا) لم يحرك ساكنًا ، وقد جمدتهم المفاجأة تمامًا ، وامتلأت نفوسهم بالتوتر والحيرة ، وهم ينقلون بصرهم بين السيارة ، التى يقودها زعيمهم ـ كما يرون ـ و (ليوناردو) الذى يواصل صراخه .. .

وفى سخرية ، قال (أدهم) وهو يتجه نحو البوابة مباشرة :

ـ لا تحاول يا رجل .. لن يتجاوزا لحظة المفاجأة بهذه السرعة .

كان يندفع نحو البوابة بكل سرعته ، عندما ظهرت فجأة تلك السيارة الأخرى ..

سيارة دون (ريكاردو) الحقيقى ..

ومع سرعة السيارتين ، أصبح الاصطدام وشيكًا .. ومحتمًا ..

* * *

١٤ ـ الطيران إلى الهدف ..

توقف (قدرى) عن القراءة ، والتقط نفسًا عميقًا ، وهو يقول :

ـ يا لها من مغامرة !.. ألم يدهشك أن (أدهم) قد التقى بدون (ريكاردو) فى (روما) ، قبل سنوات من لقائه الشهير معه فى (أمريكا) ؟.. عندما تسبّب فى سجنه ؟

ابتسمت (منى) ، وقالت :

ـ لقد أدهشنى ذلك فى حينه ، وأدهشنى أيضًا هدف عملية (اليعازر) .

سألها فى اهتمام :

ـ وما هدف العملية بالضبط ؟

أشارت إلى الملف ، وقالت :

ـ ستعرف الجواب فى حينه .. لست أميل إلى استباق الأحداث .

مطّ شفتيه وقال :

ـ لا بأس .. لم يتبق الكثير فى الملف .

ثم سألها فى اهتمام :

ـ أتحبين تناول بعض المياه الغازية المثلّجة ؟

ضحكت قائلة :

ـ كلا .. ولن أمنحك الفرصة حتى لتناول واحدة ، فلدى موعد عاجل ، بعد نصف الساعة ، وأريد الاستماع إلى نهاية القصة ، قبل أن يحين موعدى .

أبدى تبرّمًا ضعيفًا ، إلا أن لهفته لمواصلة الأحداث لم تلبث أن هزمت تبرّمه ، فعاد يقرأ ..

وبكل الاهتمام ..

* * *

كانت البوّابة أضيق من أن تحتمل سيارتين فى آن واحد ، ولكن (أدهم) انحرف بسيّارته إلى اليمين ، وهو يقول :

ـ معذرة يا زعيم (المافيا) .. سأفسد سيارتك .

أما (ريكاردو) ، فقد صاح بسائقه :

ـ احترس يا رجل .. احترس .

وارتطم جانب سيارة (أدهم) الأيمن بالبوّابة ، التى أصدرت صوتًا عنيفًا مزعجًا ، وهى تحطّم جسمها ، وأطلقت شرارات نارية قوية ، فى نفس اللحظة التى اصطدمت فيها بسيارة دون (ريكاردو) الأخرى ، وأزاحتها جانبًا فى عنف ، ثم انطلقت فى طريقها كالصاروخ ، و دون (ريكاردو) يصرخ :

ـ لقد حطّم سيارتين .. ذلك الشيطان حطّم أفضل سيارتين لدى .

قال سائقه ، وهو يلتقط أنفاسه فى صعوبة :

ـ هل .. هل نطارده يا (دون) ؟

عقد دون (ريكاردو) حاجبيه فى غضب ، وهو يقول :

ـ نطارده .. كلا .. سنترك هذا للشرطة .. إنهم يتقاضون الكثير مقابل مثل هذه الأمور .. هيا .. سنبلغهم من القصر .

واصل السائق طريقه إلى القصر ، وهناك استقبلهما (إليعازر) مع (ليوناردو) ، وهتف الأخير :

ـ سيِّدى .. لن نصدِّق أبدًا ما حدث .. هذا الرجل كان نسخة طبق الأصل منك .

وصرخ (إليعازر) :

ـ أوقفه يا (دون) .. أوقفه بأى ثمن .. لقد خدعنى ، وكشف العملية كلها .

عقد دون (ريكاردو) حاجبيه ، وهو يسأله :

ـ هل أخبرته بكل شىء ؟

قال (إليعازر) فى حذر مباغت :

ـ كلا .. ليس كل شىء .. ولكنه يعرف المكان ، وقد يمكنه استنتاج الباقى .

ابتسم (دون) ، وقال :

ـ وقد لا يمكنه هذا .

ثم أمسك ذراع (إليعازر) ، واستطرد :

ـ على أية حال ، لن يمكننا اللحاق به الآن ، ولست أظن الشرطة ستجده .. قد يعثرون على السيارة خالية ، ولكن رجلًا كهذا لن يصبح أبدًا طعمًا هينًا أوسهلًا .

قال (إليعازر) فى عصبية ، وهما يبلغان حجرة المكتب :

ـ إنك تتعامل مع الأمر بلا مبالاة تثير حنقى يا (دون) .

هزّ (دون) كتفيه ، وقال :

ـ إننى رجل واقعى .

ثم أشعل سيجارته ، قبل أن يستطرد :

ـ ثم أننى شديد الإعجاب بذلك الشيطان ، الذى نجح وحده فى هزيمتكم على هذا النحو ..

قال (إليعازر) فى حدة :

ـ وهزيمتكم أيضًا يا (دون) .. لاتنس هذا .

عقد دون (ريكاردو) حاجبيه ، وقال فى غضب :

ـ بسببكم يا (إليعازر) .

ثم عادت أساريره تنبسط ، وهو يستطرد :

ـ ولكن دعنا ننس هذا ، ولنأمل ألا يكون هذا الشيطان بارعًا فى فن الاستنتاج ، بنفس براعته فى القتال والخداع ..

ونفث دخان سيجارته مرة أخرى ، قبل أن يتابع :

ـ هيا .. لاتقف حزينًا غاضبًا هكذا .. هل تعلم .. لقد سئمت العمل هنا فى (روما) ، وأفكر في ترك الأمور هنا لـ (مايكل) ، ونقل نشاطى إلى الولايات المتحدة الأمريكية .. ما رأيك ؟

ولكن (إليعازر) لم يجب ، فقد انشغل عقله بالعملية الكبرى .. عملية (فيينا) ..

* * *

تطلّع (عصمت ، فى انبهار تام إلى (أدهم) ، وهو ينزع عن وجهه قناع دون (ريكاردو) ، ويروى له ما حدث فى القصر ، حتى انتهى من روايته ، فهتف (عصمت) :

ـ إذن فقد وصلت إلى (إليعازر) ، وانتزعت منه بالفعل ما لديه .

أجابه (أدهم) فى ضيق ، وهو يمسح وجهه بمنشفة نظيفة :

ـ ليس كل ما لديه للأسف .. كل ما عرفته هو أن العمليـة المقصودة ستتم فى (فيينا) ، وأعتقد أن المقصود سفارتنا هناك ، وليس هنا كما تصوَّرنا .

التقى حاجبا (عصمت) ، وهو يقول فى توتر بالغ :

ـ سفارتنا فى (فيينا) ؟!.. يا إلهى !

رفع (أدهم) عينيه إليه ، وسأله فى قلق :

ـ لماذا أفزعك الأمر إلى هذا الحد ؟

هتف (عصمت) ، وهو يلتقط صحيفة حديثة ، من فوق المنضدة :

ـ ألا تعرف من سيزور سفارتنا فى (النمسا) غدًا ؟

قال (أدهم) ، وقد تضاعف قلقه :

ـ كلا .. من سيفعل ؟

دفع الصحيفة أمامه ، وهو يقول فى توتر بالغ :

ـ من الواضح أنك لم تجد الوقت للاهتمام بالأخبار السياسية ، فى الآونة الأخيرة .. انظر .. اقرأ هذا الخبر .

التقط (أدهم) الصحيفة ، وقرأ الخبر المنشور ، ثم التقى حاجباه فى شدة ، وهو يقول :

ـ يا إلهى !.. لو أن هذا هدفهم بالفعل ؟!..

قال (عصمت) :

ـ هل نبلغ أمن سفارتنا هناك ؟

أجابه (أدهم) :

ـ لسنا واثقين بعد من الأمر ، ثم أننا لا نعلم حتى كيف سيتم هذا .

واعتدل مستطردًا فى حزم :

ـ سأسافر على الفور إلى (فيينا) .

قال (عصمت) فى توتر :

ـ ولكن لا توجد طائرات إلى هناك الآن .

قال (أدهم) فى حدّة :

ـ سأسافر بأية وسيلة .. المهم أن أصل إلى (فيينا) قبل فوات الأوان .

وألقى الصحيفة جانبًا ، وهو يختطف مسدسه ، ويغادر المكان بأقصى سرعة ..

وفى الصفحة الأولى ، من الصحيفة التى ألقاها ، كان هناك خبر عن مسئول مصرى كبير ، سيلتقى ببعض السياسيين النمساويين فى سفارة بلده فى (فيينا) ..

مسئول كبير للغاية ..

الرئيس المصرى نفسه ..

الرئيس (أنور السادات)(*) .

★ ★ ★

توقّف (قدرى) عن القراءة فى ذهول ، وحدّق فى وجه (منى) لحظات فى صمت ، قبل أن يقول :

ـ الرئيس (أنور السادات) ؟!.. هل كانوا يخططون لاغتيال الرئيس نفسه ؟!.. ولكن لماذا ؟.. هذا يخالف أساليبهم تمامًا !

(*) محمد أنور السادات : (١٩١٨ـ١٩٨١م) : سياسى مصرى ، ورئيس لجمهورية (مصر) العربية (١٩٧٠ـ١٩٨١م) ، ولد بقرية (ميت أبو الكوم) ، وتخرّج من الكلية الحربية عام ١٩٣٨م ، واشترك فى ثورة يوليو ١٩٥٢م ، ضمن تنظيم الضباط الأحرار ، ثم أصبح وزيرًا للدولة عام ١٩٥٤م ، ورئيسًا لمجلس الأمة (١٩٦٠ـ١٩٦٨م) ، ثم نائبًا لرئيس الجمهورية ، فرئيس جمهورية .

اعتدلت فى مقعدها ، وقالت :

ـ لو قرأت تقرير خبرائنا ، فى نهاية الملف ، لوجدت أن هذا لا يخالف أسلوبهم كما تتصوَّر ، فلقد اعتاد هؤلاء الصهاينة اغتيال كل من يخشون تأثيره من القيادات العربية ، ومن علماء العرب .. لقد اغتالوا كل عالم عربى ، تقدَّم خطوة إلى الأمام ، فى أبحاث الذرة أو الفضاء ، ورفض كتمان ما لديه ، أو التعاون معه ، وفى ذلك الحين ، فى نهاية النصف الأوَّل من السبعينات ، كان الرئيس (السادات) قائدًا منتصرًا ، نجح لأوَّل مرة فى هزيمة الإسرائيليين هزيمة فعلية ، وحطَّم أسطورة التفوُّق الإسرائيلى ، وجمع الأمة العربية كلها فى مواجهة واحدة صريحة ، وبعدها بدأ خطوات الإصلاح الاقتصادى ، وأطلق حرية الصحافة ، وبدأ يتجه نحو الغرب ، بدلًا من الشرق .. وهذا ما كان يقلق الإسرائيليين كثيرًا ، فاتجاه (مصر) نحو الكتلة الشرقية ، كان الذريعة القوية ، التى تتذرَّع بها (إسرائيل) ، لتظلَّ الطفل المدلَّل للغرب فى الشرق الأوسط ، ولتضمن استمرار تدفُّق المعونات الاقتصادية والسياسية عليها ، بصفتها شرطى المنطقة .. وفى ظل هذه الظروف ، كان من الضرورى إيقاف الرئيس (السادات) ، قبل أن تفقد (إسرائيل) نقطة تفوُّقها فى المنطقة ، ولما كان ـ رحمه الله ـ عنيدًا ، وسياسيًا بارعًا ، فقد فشلت وسائل الخداع السياسية فى هذا ، ولم يجد الإسرائيليون أمامهم سوى اللجوء إلى هذا العمل العجيب .. الاغتيال .

استمع إليها مشدوهًا ، فاغرًا فاه ، ثم لم يلبث أن هزَّ رأسه ، وقال فى ازدراء :

ـ لن يمكننى فهم العقلية الصهيونية أبدًا .

هزَّت كتفيها ، قائلة :

ـ إنها شخصية محدودة ، تنحصر طريقة تفكيرها فى مبدأ واحد .. كل الوسائل مشروعة ، ما دامت تحقِّق الهدف .. أو كما يقولون : لا يهم لون القط أو نوعه .. المهم أن ينجح فى اصطياد الفئران .

هزَّ رأسه مرة أخرى ، وقال :

ـ عقلية عجيبة .

ثم سأل فى شغف :

ـ وماذا فعل (أدهم) ، بعد معرفته هذا ؟

ابتسمت قائلة :

ـ لماذا تتعجَّل الأمور .. اقرأ ، وستعرف ما حدث .

قال فى حماس :

ـ أنت على حق ..

وعاد يقرأ ..

* * *

أشارت عقارب الساعة إلى الحادية عشرة وعشر دقائق ، عندما وصل (أدهم) إلى سفارتنا فى (فيينا) ..

كان مرهقًا ، منهكًا ، ومعطفه فى حالة يرثى لها ، ولم يجد الوقت حتى لحلاقة ذقنه ، وعندما بلغ مبنى السفارة ، كان الرئيس (السادات) قد وصل بالفعل ، واستقرَّ داخل السفارة ، التى أحيطت بنطاق أمنى ضخم ، اعترض أحد أفراده طريق (أدهم) ، وهو يسأله فى صرامة :

ـ ماذا تريد ؟

أجابه (أدهم) فى توتر :

ـ أريد مقابلة أى مسئول بالسفارة ، لأمر بالغ الأهميـة والخطورة .

ألقى عليه الرجل نظرة شك ، وقال :

ـ فيما بعد .. الرئيس المصرى هنا ، و ..

قاطعه (أدهم) فى حدة :

ـ وهذا بالضبط سبب وجودى هنا .. الأمر يتعلق بأمن وسلامة الرئيس ، وأنا أحملك المسئولية كلها .

حدجه الرجل بنظرة شك حازمة ، ثم أشار لأحد رجاله ، وقال :

ـ أخبر المسئولين بالسفارة أنه هناك رجل يطلب مقابلة أحدهم ، لأمر يصفه بأنه بالغ الأهمية والخطورة .

أدى الرجل التحية العسكرية ، وأسرع إلى داخل السفارة ، ولم يكد يعبر الباب الرئيسى ، حتى وجد أمامه (سيجال) ، فتوقف ليؤدى التحية مرة أخرى ، قائلاً :

ـ هناك رجل بالخارج ، يطلب مقابلة أحد المسئولين هنا ، لأمر بالغ الأهمية والخطورة على حد قوله .

عقد (سيجال) حاجبيه فى قلق ، فأردف الرجل :

ـ هل نبعده عن هنا ؟

كاد (سيجال) يجيب بالإيجاب ، إلا أنه خشى أن ينصرف ذلك الرجل ، ثم يلجأ إلى وسيلة أخرى ، للقاء أحد المسئولين ، وربما أتى بشأن العملية ، لذا فقد قال للجندى :

ـ كلا .. احضره إلى مكتب الأمن الخارجى ، سأقابله هناك .

ولم تمض دقائق ، حتى كان (أدهم) يقف أمام (سيجال) ، الذى صافحه قائلا :

ـ (إبراهيم فؤاد) .. الملحق الصحفى السابق بسفارتنا فى (روما) ، والمستشار الصحفى هنا حاليا .. سمعت أن لديك أمرًا بالغ الأهمية والخطورة ، فماذا لديك بالضبط ؟

أجابه (أدهم) على الفور ودون مقدمات :

ـ أنا ضابط مخابرات مصرى .

وقع القول على (سيجال) وقع الصاعقة ، وكاد يفقده توازنه ، ولكنه تمالك نفسه ، وهتف بدهشة لم يفتعلها :

ـ ضابط مخابرات مصرى ؟!.. وماذا تفعل هنا ؟

أجابه (أدهم) :

ـ هناك عملية إسرائيلية ، تستهدف اغتيال الرئيس (السادات) ، وأنا هنا فى محاولة لمنع حدوثها .

كانت صاعقة جديدة ، هوت على رأس (سيجال) ، الذى هتف :

ـ اغتيال من ؟!.. أى قول هذا يا رجل ؟

قال (أدهم) فى توتر :

ـ أنا واثق مما أقول ، ولابد من تحذير السيد الرئيس وطاقم أمنه على الفور .

شعر (سيجال) بحساسية الموقف وخطورتـه ، وبضرورة الإسراع بتنفيذ العملية ، قبل أن تتعقد الأمور ، فنهض قائلا فى حزم :

ـ الأمر بالغ الخطورة بالفعل .. انتظرنى هنا .. سأعود إليك بعد قليل .

استرخى (أدهم) فى مقعده ، وحاول التغلب على ذلك التوتر ، الذى يسرى فى عروقه ، بعد أن أتم مهمته ، التى قطع رحلة شاقة طويلة من أجلها ..

ولكن شيئا ما فى أعماقه رفض هذا الاسترخاء ..

شىء كان يدرك أن لحظة النصر لم تحن بعد ..

وأن الخطر ما يزال مستمرًا ..

وقائمًا ..

* * *

فجأة وثبت صورة ما إلى ذهن السفير المصرى ..

صورة أحذية الملحق الصحفى ، المتراصة إلى جوار بعضها البعض فى حجرته ..

وفجأة أيضًا هتف :

ـ هل نقلتم أشياء الملحق الصحفى ؟

أجابه مدير مكتبه فى دهشة :

ـ ليس بعد .. سآمر الرجال بالإسراع فى هذا ، و ...

هتف به السفير ، وهو يعدو مغادرًا مكتبه :

ـ لا .. ليس بعد .

لحق به مدير المكتب عبر حديقة السفارة فى دهشة بالغة ، حتى بلغا منزل الملحق القديم ، فاقتحمه السفير بحركة عنيفة ، تخالف طبيعته تمامًا ، وألقى نظرة طويلة على الأحذية ، ثم انحنى يلتقط الحذاء الرياضى من بينها ، هاتفًا :

ـ كنت أعلم هذا .. كنت واثقًا من أن ذاكرتى لم تخدعنى .

سأله مدير مكتبه فى دهشة قلقة :

ـ ماذا حدث بالضبط يا سيدى السفير .. ماذا هناك ؟

قال السفير فى انفعال :

ـ انظر .. كل أحذية (إبراهيم) ذات مقياس واحد ، فيما عدا هذا الحذاء ، والآخر الذى كان يرتديه عند سفره .

سأله الرجل فى حيرة :

ـ وما الذى يعنيه هذا ؟

أجابه فى انفعال أكثر :

ـ يعنى أن عملية السفارة قد تمت بالفعل .. وهذا هو الدليل .

حاول الرجل أن يلقى عليه سؤالًا آخر ، إلا أن السفير عاد راكضًا إلى مكتبه ، أمام دهشة كل العاملين بالسفارة ، والتقط سمّاعة هاتفه الخاص ، واتصل بالرقم المدوّن على البطاقة ، التى يضعها أمامه منذ مساء اليوم السابق ..

بطاقة (عصمت) ..

* * *

غادر (سيجال) مكتب الأمن الأمامى ، وتحرّك بسرعة فى أروقة السفارة ، حتى بلغ حجرة مكتبه الجديد ، فالتقط منها حقيبة ، وأسرع إلى الطابق الثانى من السفارة ، وفتح الحقيبة فى شرفة داخلية ، تطل على بهو السفارة الواسع ، حيث يجلس الرئيس (السادات) ، مع عدد من مستقبليه ، وغمغم :

ـ لم يعد هناك مجال للاختيار .. لابد وأن تتم العملية الآن .

وأخرج من حقيبته عدة قطع معدنية ، أوصلها ببعضها البعض



وأخرج من حقيبته عدة قطع معدنية ، أوصلها ببعضها البعض فى سرعة ومهارة ، حتى بدت ملامحها تتضح ، فى شكل بندقية ..

فى سرعة ومهارة ، حتى بدت ملامحها تتضح ، فى شكل بندقية ذات منظار مقرّب ..

بندقية اغتيالات ..

وفى اللحظة نفسها كان (أدهم) يعتدل فى مجلسه ، ويتطلع إلى ساعته ، ثم يلتفت الى الهاتف الموضوع الى جواره ، قائلا :

ـ تُرى هل يمكن أن أتحدث من هنا إلى (روما) ؟

رفع سمّاعة الهاتف ، وأدار رقم منزل (عصمت) ، ولم يكد يسمع صوته ، حتى قال :

ـ مرحبًا يا (عصمت) .. هنا (أدهم صبرى) ، أتحدث من (فيينا) .. هل أجد لديك عنوان مكتبنا هنا ، و ...

قاطعه (عصمت) بانفعال جارف :

ـ (أدهم) .. يا للقدر !.. كنت أبحث الآن عن وسيلة عاجلة للاتصال بك لقد اتصل بى سفيرنا فى (روما) منذ لحظات .

قال (أدهم) فى توتر :

ـ وماذا لديه ؟

أجابه (عصمت) :

ـ لقد عرفنا ما المقصود بالسفارة .. إنها سفارتنا هنا فى (روما) .. أو السفارتين معًا ، فالسفير واثق من أنهم وضعوا أحد رجالهم هنا ، بعد تغيير ملامحه بعملية تجميل ، ليحتلّ موقع الملحق الصحفى السابق (إبراهيم فؤاد) ، الذى ستتم ترقيته فى (فيينا) اليوم ، إلى منصب مستشار صحفى .. من الواضح أنه الرجل الذى ..

ثم ينتظر (أدهم) حتى ينهى (عصمت) حديثه ..

لقد ألقى سماعة الهاتف من يده ، وانطلق خارج مكتب الأمن ، واصطدم عند الباب بأحد حرّاس السفارة ، فهتف به :

ـ أين ذهب المستشار الصحفى الجديد ؟

شكّ الحارس فى هيئته وأسلوبه ، فقال فى صرامة :

ـ من أنت ؟.. وماذا تريد ؟

ولكن (أدهم) لم يكن مستعدًا لإضاعة لحظة واحدة ، لذا فقد دفع الحارس جانبًا ، وانطلق يعدو داخل السفارة ، وبعض رجال الأمن يعدون خلفه ..

وعمل عقل (أدهم) بسرعة ..

الرئيس يجلس فى البهو مع مستقبليه ، فما هو أفضل موقع لاصطياده ، دون خطأ يذكر ؟..

إنها الشرفة العلوية الداخلية بالطبع ..

وبكل ما يملك من قوة ، وحنكة ، ومهارة ، أفلت من مطارديه ، وراوغهم ، وصعد السلم الذى يقود إلى الشرفة الداخلية راكضًا ، وخلفه عدد من رجال الأمن ، يحاولون إيقافه ومنعه ، دون إثارة التوتر والقلق داخل السفارة ..

ومن حسن الحظ أن الطريق إلى الشرفة كان داخليًا ، لايبدو للرئيس أو مستقبليه ..

والأهم أنه لايظهر واضحًا لرجال الصحافة والإعلام ..

وهناك ، خلف أحد أعمدة الشرفة ، كان (سيجال) قد انتهى من تركيب بندقيته المزوّدة بكاتم للصوت ، ومنظار مقرّب ، وأسندها إلى

جانب العمود ، وهو يصوّبها فى دقة وإحكام إلى الرئيس (السادات) ..

وفى سخرية ، غمغم (سيجال) :

ـ هيا .. ارحل لتتم إصلاحاتك فى الجحيم ..

واستعدّت سبّابته لضغط الزناد ، و ...

وفجأة سمع وقع أقدام (أدهم) ، الذى يعدو نحوه ، واستدار إليه فى حركة حادة عنيفة ..

ووثب (أدهم) ..

وأطلق (سيجال) بندقيته ..

وكان المشهد مدهشًا ..

رصاصة (سيجال) انطلقت نحو (أدهم) ، بدلًا من أن تنطلق نحو الرئيس ، بصوت خافت مكتوم ، وأصابت طرف ذراع (أدهم) ، ومزّقت معطفه ، ثم انقضّ (أدهم) على (سيجال) ، وقال :

ـ أخطأت أيها الوغد .

وهوى على فكه بلكمة ساحقة ، أودعها كل غضبه ، وحزمه ، وقوته ، مستطردًا :

ـ وليس لك الحق فى محاولة ثانية .

أصابت اللكمة فك (سيجال) ، وضربت رأسه بالعمود ، فسقط فاقد الوعى ، عند قدمى (أدهم) ، فى نفس اللحظة التى وصل فيها رجال الأمن ، وصوّبوا نحو (أدهم) أسلحتهم ، ورئيسهم يقول فى حدّة خافتة :

ـ ارفع ذراعيك إلى أعلى ، أو نطلق النار .

تنهد (أدهم) ، وهو يجلس إلى جوار (سيجال) الفاقد الوعى ، ويدفع بندقيته بعيدًا بقدمه ، ويبتسم قائلًا :

ـ لابأس أيها الزملاء .. لن أثير أية مشكلات .. الأمر انتهى بسلام ، ودون أن يشعر الرئيس وطاقم الصحافة .. وهذا هو المهم .

وأغلق عينيه فى استرخاء ، وقد أدرك ذلك الشىء فى أعماقه أن المهمة قد انتهت ، وأنه قد بلغ نهاية الحلقة ..

الحلقة الجهنمية ..

* * *



١٥ ـ الختام ..

أغلق (قدرى) الملف ، والتقط نفسًا عميقًا ، قبل أن يهتف فى نشوة وانفعال :

ـ رائع .. انتصار رائع .

ابتسمت (منى) ، وهى تقول :

ـ إنه واحد من أفضل انتصارات (أدهم) ، وأكثرها سرية وحساسية ؛ فلم يعلم بالأمر سوى الرئيس (السادات) ، وعدد من أقرب معاونيه ، واحتفظ الجميع بالأمر سرًا ، فلم يرد ذكره قط حتى الآن .

سألها (قدرى) :

ـ وماذا فعلوا بـ (أدهم) ؟

أجابت مبتسمة :

ـ فى البداية ألقوا القبض عليه ، ثم لم يلبث أن نال ترقية استثنائية .

سألها فى اهتمام :

ـ والملحق الصحفى الحقيقى .. هل تخلصوا منه ؟

هزّت رأسها نفيًا ، وأجابت :

ـ كلّا .. لقد احتفظوا به ، ثم تركوه خلف السفارة ، فاقد الوعى ، داخل سيارة مجهولة ، وكانت خطتهم أن يغتال (سيجال) الرئيس ، ثم يفرّ من السفارة ، وبعدها يعثر رجال الأمن على (إبراهيم فؤاد)

داخل السيارة ، فيتم إلقاء القبض عليه ، واتهامه باغتيال (السادات) ، ويفلت الإسرائيليون بجريمتهم ، ولكن رجال الأمن عثروا على الملحق الصحفى ، بعد إلقاء القبض على (سيجال) . فانكشفت اللعبة كلها .

هتف معترضًا :

ـ ولماذا لم يتم نشر القصة كلها ؛ لفضح الإسرائيليين ، الذين يتعاملون وكأنهم منظمة إجرامية كبرى ، وليسوا جهاز مخابرات رسمى ؟

أجابت ، وهى تنهض من مقعدها :

ـ لم يكن (سيجال) إسرائيليًا ، وكان من الصعب إثبات تورّطهم فى الأمر .. ثم أن للسياسة تعقيداتها .

وابتسمت مرّة أخرى ، مستطردة :

ـ ولكن العجيب أن علاقة (أدهم) بـ (إليعازر) و دون (ريكاردو) لم تنته بهذه المغامرة .

أجاب بسرعة :

ـ أعلم هذا .. لقد التقى بـ (إليعازر) بعدها فى (باريس) ، فى أولى عملياتكما المشتركة(★) ، والتقى بـ (ريكاردو) فى (أمريكا) ، وتسبّب فى الإيقاع به(★ ★) .

(★) راجع قصة (الاختطاف الغامض) .. المغامرة رقم (١) من سلسلة (رجل المستحيل) .

(★ ★) راجع قصة (قناع الخطر) .. المغامرة رقم (٣) من سلسلة (رجل المستحيل) .

تطلّعت إلى ساعتها ، وقالت :

ـ من الواضح أنك تحفظ تاريخ (أدهم) عن ظهر قلب .. أهنئك ، والآن سأضطر للانصراف ، فلى موعد بالغ الأهمية .

سألها :

ـ موعد مع من ؟

ضحكت فى خجل وقالت :

ـ حاول أن تخمّن .

وغادرت الحجرة ، وأغلقت بابها خلفها فى سرعة ، فابتسم هو ، وتمتم فى حنان أبوى صادق :

ـ ومن غيره ؟.. أنت على موعد مع الرجل .

والتفت إلى صورة كبيرة لـ (أدهم صبرى) ، تزيّن حجرته ، وهو يستطرد فى حب وحماس :

ـ رجل المستحيل ..

★ ★ ★

[تمت بحمد الله]